وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الصراع الإسباني العثماني على تونس خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبتين:

- آسيا غزيل
- منال مسعودة رزاق

إشراف الأستاذة:

رحيمة بيشي

أعضاء لجنة المناقشة:

أستاذ بوبكر محمد السعيد	**رئيساً**
أستاذة ربيعة قريزة	**مناقشة**
أستاذة رحيمة بيشي	**مشرفة**

الموسم الجامعي:

1440-1441هـ/2019-2020م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الصراع الإسباني العثماني على تونس خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبتين:

- آسيا غزيل
- منال مسعودة رزاق

إشراف الأستاذة:

أ/ رحيمة بيشي

أعضاء لجنة المناقشة:

أستاذ بوبكر محمد السعيد	**رئيساً**
أستاذة ربيعة قريزة	**مناقشة**
أستاذة رحيمة بيشي	**مشرفة**

الموسم الجامعي:

1440-1441هـ/2019-2020م

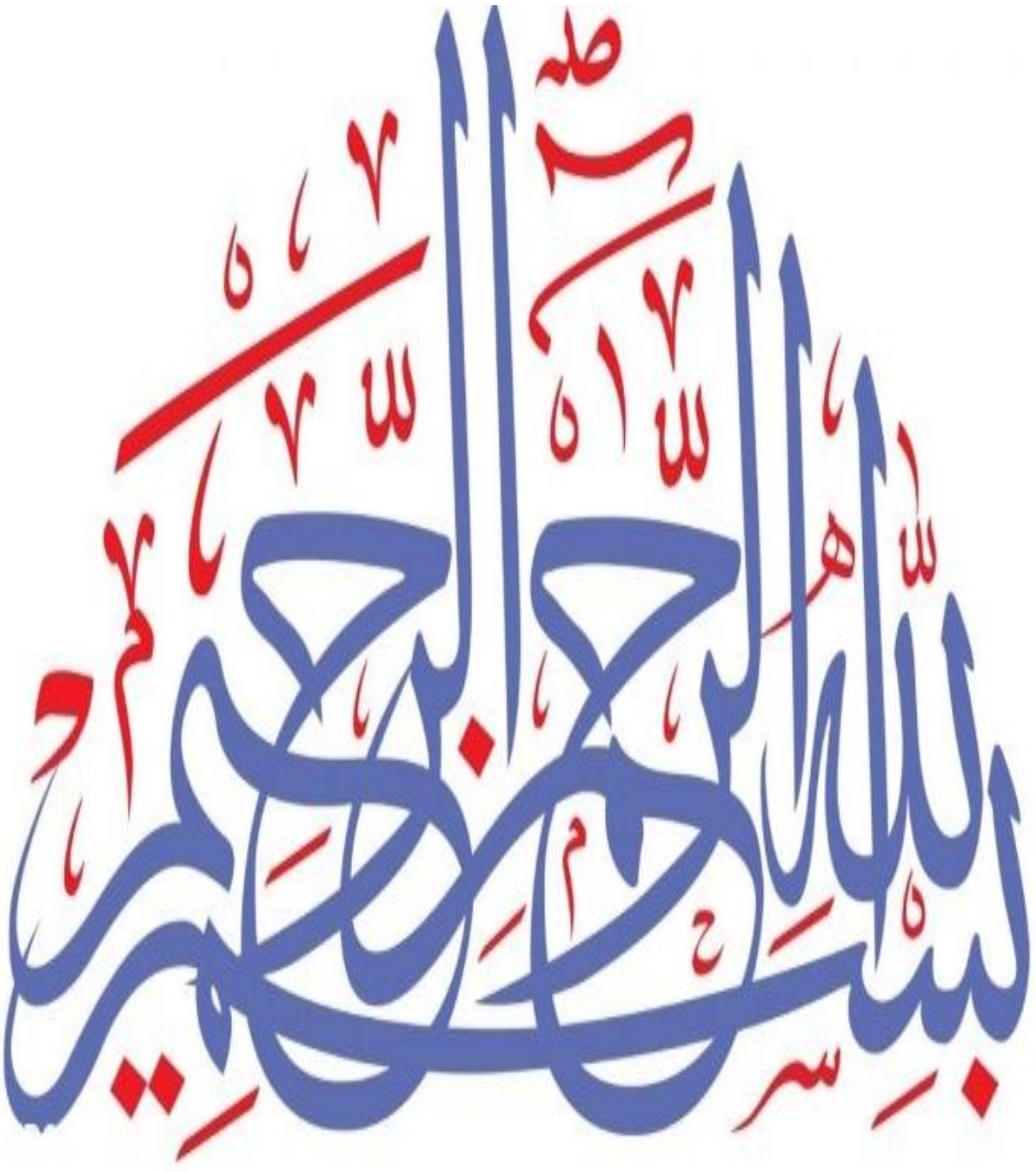
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي عملي هذا

إلى قدوتي ومثلي الأعلى في هذه الحياة

أمي الموقرة

إلى من علمني كيف أعيش بكرامة وشموخ

أبي المحترم

إلى أعز الناس على قلبي

إخوتي وأخواتي

إلى كل العائلة الكريمة ومن يحمل لقب غزيل

إلى كل الزملاء والزميلات في الحياة الدراسية، بالأخص زميلتي المجدة رزاق منال التي شاركتني عملي هذا

إلى جميع من تلقيت منهم النصح والدعم

آسيا غزيل

الإهداء

إلى حضن الحنان وعون الأمان، إلى من ربتني وأنا صغيرة وحملت همومي وأنا كبيرة إلى أحلى كلمة نطقتها شفتاي أمي الغالية "خيرة" حفظك الله ورعاك.

إلى من كان عونا لي وسندا طوال حياتي، إلى من حصد الأشواك من دربي ليمهد طريق العلم، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أبي العزيز "محمد" أطال الله عمره.

إلى من ترعرعت معهم ونمى غصني بينهم إخوتي، طارق، معمر، نورالدين، وإلى حفيد العائلة محمد الأمين.

إلى من عشت معهن أحلى اللحظات رفيقات دربي: اسمهان، سمية، مباركة، فاطمة الزهراء، حكيمة، رشيدة، نجلاء، أحلام، حنان، حياة وأسماء.

إلى التي منحها الله القلب الواسع، سندي وذراعي التي قاسمتني عناء بحثي هذا آسيا غزيل.

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

رزاق منال مسعودة

شكر وعرفان

نشكر الله عز وجل ونحمده على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل

كما نتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذة المشرفة رحيمة بيشي

على قبولها الإشراف علينا، وعلى إرشاداتها الحكيمة والرشيدة، وتصويبها لأخطائنا حرفا بحرف، وإتاحتها طيلة فترة إنجاز هذه المذكرة.

والشكر موصول أيضا إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة

الذين تفضلوا بقراءة هذه المذكرة.

كما لا يفوتنا أن نشكر كل عمال جامعة غرداية أساتذة كانوا أو إداريين.

وفي الأخير نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة.

قائمة المختصرات:

1. المختصرات باللغة العربية:

تح: تحقيق

تر: ترجمة

تع: تعليق

تق: تقديم

ج: الجزء

د.د.ن: دون دار النشر

د.س.ن: دون سنة النشر

د.ط: دون طبعة

د.م.ن: دون مكان النشر

د.م: دون مشرف

ص: صفحة

ط: الطبعة

ع: عدد

م: ميلادي

مج: مجلد

هـ: هجري

2. المختصرات باللغة الفرنسية:

T : **Tome**.

Op.**cit** : **Ouvrage précité.**

P:**page**.

مقدمة

شهدت الفترة المتمثلة في أواخر القرن الخامس عشر وطيلة القرن السادس عشر ميلادي صراعا مريرا بين المسلمين والصليبيين في الحوض الغربي للمتوسط، وذلك نتيجة لبروز قوتين عالميتين، تمثلت القوة الأولى في الإمبراطورية الإسبانية التي استطاعت تحقيق وحدتها السياسية بزواج فرديناند ملك أرغون بإيزابيلا ملكة قشتالة سنة1469م، نتج عن هذه الوحدة سقوط غرناطة سنة 1492م، واحتلال العديد من المدن الجزائرية (1505-1511)، ولم يتوقف جشع الإسبان عند هذا الحد بل وجهوا أنظارهم نحو تونس التي هي محور دراستنا في هذه المذكرة، ففي نهاية القرن 15 وبداية القرن 16 كانت تعيش اضطرابا وضعفا بات واضحا في جميع مستوياتها خاصة في عهد مولاي الحسن الذي كان ظالما متغطرسا على رعيته هذا ما جعل تونس فريسة سهلة للإسبان.

أما القوة الثانية فتتمثل في الدولة العثمانية التي عرفت أوج قوتها في عهد السلطان سليم الأول (1512-1520) الذي قام بالتوسع على المشرق العربي وأصبحت الدولة في عهده حامية للعالم الإسلامي، واستمرت التوسعات في عهد السلطان سليمان القانوني(1520-1566)في أوربا لتبلغ أوجها في حصار فيينا 1529م.

لقد برز من الدولة العثمانية مغامرين رفعوا لواء الجهاد ضد الاحتلال الإسباني في بلاد المغارب، بحيث تمكن خير الدين بربروس من نجدة تونس سنة 1534م، وضمها للدولة العثمانية، مما أدى إلى دخول البلاد في صراع عثماني إسباني بين قوتين عظميتين، وأهم الاشتباكات التي وقعت بينها حول المنطقة، حملة شارلكان على تونس 1535م، واسترجاع مدينة تونس من طرف علج علي سنة1569م، ثم احتلالها من طرف دون خوان دو تريش (Don juan d' Autiche) سنة1573م، لينتهي الصراع عام 1574م وذلك بضم تونس نهائيا للدولة العثمانية.

وقد خلد التاريخ أسماء لشخصيات ساهمت في تحرير تونس نذكر منهم: خير الدين بربروس، درغوث باشا، العلج علي ...بدعم من الأسطول العثماني.

هذا ما دفعنا لدراسة هذه الأحداث، فجاء موضوع مذكرتنا موسوما ب: الصراع الإسباني العثماني على تونس خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي

الإطار الزماني والمكاني:

لقد حصرنا موضوع دراستنا بمعلمين تاريخيين يتمثل المعلم الأول في سنة 1510م الموافق ل 915هـ، وهي السنة التي خضعت فيها تونس للإسبان عن طريق التبعية.

أما المعلم الثاني فتمثل في سنة 1574الموافق ل 982هـ وهي السنة التي أصبحت فيها تونس إيالة عثمانية.

الإطار المكاني: تونس.

أسباب اختيار الموضوع:

-الميول الشخصي لتاريخ تونس.

-الرغبة في إثراء المادة العلمية الخاصة بتونس، بغرض تسهيل دراستها للطلبة اللاحقين.

-فك اللبس عن بعض الأحداث التاريخية.

-إبراز دور الدولة العثمانية في تحرير بلاد المغارب من احتلال محتم.

ولكل ما سبق يمكن طرح الإشكال التالي:

- ماهي مجريات الصراع الإسباني العثماني على تونس خلال القرن العاشر هجري /السادس عشر ميلادي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية الرئيسية قمنا بتجزئتها إلى تساؤلات فرعية تتمثل في:

-كيف كانت الأوضاع السياسية لإسبانيا وتونس والدولة العثمانية أواخر القرن الخامس عشر بداية القرن السادس عشر؟

-كيف استطاع خير الدين بربروس إلحاق تونس بالدولة العثمانية سنة 1534؟

-ماهي مجريات حملة شارلكان على تونس سنة 1535م ؟ وما نتائجها؟

- ما مدى مساهمة درغوث والعلج علي في تحرير المدن التونسية؟

-كيف استطاع الإسبان الدخول تونس مرة أخرى خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر؟

كيف غدت تونس إيالة عثمانية سنة 1574م؟

خطة الدراسة:

وللإجابة عن التساؤلات التي سبق ذكرها، قسمنا بحثنا هذا إلى ثلاثة فصول:

-الفصل الأول هو بمثابة فصل تمهيدي تطرقنا فيه إلى أوضاع إسبانيا، تونس والدولة العثمانية أواخر القرن الخامس عشر بداية القرن السادس عشر، فتناولنا في المبحث الأول الأوضاع في إسبانيا، وفي المبحث الثاني أوضاع تونس، أما المبحث الثالث فتطرقنا فيه لأوضاع الدولة العثمانية.

- الفصل الثاني خصصناه لدراسة الصراع الإسباني العثماني على تونس خلال النصف الأول من القرن السادس عشر متناولين في المبحث الأول إلحاق تونس بالدولة العثمانية 1534م، وفي المبحث الثاني حملة شارلكان على تونس 1535م، أما المبحث الثالث فتطرقنا فيه إلى استباحة الإسبان لتونس ونتائج ذلك.

أما فيما يخص الفصل الثالث فقد جاء بعنوان الصراع الإسباني العثماني على تونس خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، قسمناه هو الآخر إلى ثلاثة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى مساهمة درغوث والعلج علي في تحرير المدن التونسية خلال النصف الثاني من القرن 16، أما المبحث الثاني فتناولنا التدخل الإسباني في تونس خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، وفي المبحث الثالث والأخير تطرقنا إلى تحرير العثمانيين لتونس وتداعياته.

وفي الأخير ختمنا دراستنا هذه بخاتمة حاولنا من خلالها تقديم أهم النتائج المتوصل إليها، إلى جانب ملاحق متنوعة تخدم الدراسة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في استخلاص العبرة من عقلية الحكام العرب في احتفاظهم بالملك حتى لو دفعهم ذلك للاستنجاد بالأجانب وهذا ما ينطبق على مولاي الحسن، وهنا نجد عبارة بليغة قالها

الخليفة العباسي هارون الرشيد لولده المأمون: الحكم عقيم ولو نازعتني أنت على الحكم لأخذت الذي فيه عيناك[1].

أهداف الدراسة:

إبراز دور الدولة العثمانية في الدفاع عن الإسلام والمسلمين في بلاد المغارب وذلك من خلال دراسة الصراع الإسباني العثماني على تونس خلال القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي ومحاولتنا توظيف الوثائق الأرشيفية الخاصة بهذا الموضوع، لتصبح في متناول الطلبة والباحثين.

الدراسات السابقة:

توجد بعض الدراسات التي تناولت الصراع العثماني الاسباني على تونس خلال القرن 16، وقد استفدنا منها في بعض النقاط الأساسية التي بنيت عليها دراستنا لهذا الموضوع، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

رحيمة بيشي: العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898-982هـ/1494-1574م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، وقد خدمت موضوعنا بشكل مباشر.

طاهر تومي: علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع إسبانيا ما بين 1520-1792م، أطروحة دكتوراه استفدنا منها كثيرا في تفصيل الأحداث.

الشافعي درويش: علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، رسالة ماجستير ساعدتنا على معرفة النقاط الأساسية في الموضوع.

التعريف بأهم المصادر والمراجع:

سنقوم بإدراج بعض المصادر والمراجع على سبيل الذكر لا الحصر منها:

---

[1] الشيخ الصدوق: **عيون أخبار الرضا(ع)**، تح و تع وتق: حسين الأعلمي، 2ج، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيرت ، لبنان، 1984م، ج2، ص 86.

-كتاب وصف إفريقيا لمؤلفه الحسن بن محمد الوزان الفاسي الملقب بليون الإفريقي (lèon l' Africain) يعتبر هذا الكتاب موسوعة جغرافية ومصدرا تاريخيا في الوقت نفسه، أفادنا كثيرا في التعريف بالمدن والمناطق الجغرافية في شمال إفريقيا، واستخدمناه في الفصلين الأول والثاني.

-كتاب إفريقيا لمؤلفه مارمول كربخال (Marmol karfakhal) لا يقل هذا الكتاب أهمية عن كتاب الحسن الوزان' وصف إفريقيا 'فهو يعتبر تكملة له وهو من المؤلفات المهمة التي كتبت في القرن السادس عشر عن إفريقيا بصفة عامة وشمالها بصفة خاصة والمغرب الأقصى بصفة أخص، اعتمدنا عليه كثيرا في المذكرة وخصوصا الفصل الثاني لأن مارمول كان شاهد عيان لحملة شارلكان على تونس، رغم أهمية هذا المصدر ولكن يجب اتخاذ الحذر في أخذ المعلومات لأن المؤلف من المسيحيين المتعصبين.

-مذكرات خير الدين بربروس: هو عبارة عن مذكرات أملاها البحار العثماني خير الدين بربروس على 'زميله سيدي علي المرادي' بناء على طلب السلطان سليمان القانوني، ترجم إلى العربية من طرف محمد دراج، اعتمدنا على هذا الكتاب في الفصلين الأول والثاني لإبراز دور عروج وخير الدين في مواجهة الإسبان.

-كما استأنسنا بكتاب غزوات عروج وخير الدين: لمؤلف مجهول فهو يعتبر من المصادر الهامة التي أرخت للنصف الأول من القرن السادس عشر/العاشر هجري، اعتمدنا عليه في الفصل الثاني لوصف حملة شارلكان على تونس.

-أما المراجع فهي عديدة ومتنوعة منها:

-الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني- أواسط القرن التاسع عشر) لفاضل بيات: يقدم الكتاب مادة غنية، موثوقة بشكل علمي، استنادا إلى عدد هائل من الوثائق والمصادر العثمانية، وينهض على دراسة موسعة للنواحي والجوانب الإدارية، ويكشف الحقائق التاريخية للبلدان العربية في العهد العثماني، استخدمناه في كامل فصول المذكرة.

-كما اعتمدنا على كتاب الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574م لنيقولاي ايفانوف، نقله إلى العربية يوسف عطاالله، يعتبر من الكتب المهمة التي تتحدث عن الدخول العثماني للأقطار العربية سوريا ومصر والعراق وتونس والجزائر وحضرموت واليمن والسودان وليبيا، اعتمدنا عليه كثيرا في الفصلين الثاني والثالث عند الحديث عن الصراع الإسباني العثماني على تونس في القرن السادس عشر.

- دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر: لعبد الجليل التميمي، يعتبر من المراجع التي لا غنى عنها في تاريخ تونس، لأنه يضم مجموعة من الوثائق الأرشيفية المتعلقة بذلك أفادنا كثيرا في الفصل الثالث.

-إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان: لأحمد ابن أبي ضياف، يعتبر مرجعا رئيسا للحقبة التي نحن بصدد دراستها، قسم الكتاب إلى ثمانية أجزاء يتناول كل جزء حقبة معينة من تاريخ تونس مند الفتح الإسلامي إلى غاية القرن التاسع عشر، وقد ركز المؤلف على تاريخ تونس في العهد العثماني، أفادنا كثيرا الجزء الثاني من هذا الكتاب في الفصل الثاني من المذكرة لأنه يركز على العهد العثماني بتونس، ووردت فيه الكثير من المعلومات المتعلقة بموضوع دراستنا.

منهج الدراسة:

وللإجابة على التساؤلات المطروحة اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي متبعين الأسلوبين الوصفي والتحليلي، بعد أن استعنا بالأول لدراسة أوضاع إسبانيا وتونس والدولة العثمانية، ووصف وقائع المعارك والثاني لتحليل العلاقة بين هذه الدول ومجريات الأحداث.

صعوبات الدراسة:

لا يخلو أي بحث علمي جاد من صعوبات وعراقيل، ومن أهم الصعوبات والعراقيل التي اعترضتنا أثناء إنجاز هذه الدراسة:

-صعوبة الوصول إلى بعض المصادر والمراجع التي نراها ذات أهمية بالغة في خدمة الموضوع وذلك لعدم توفرها إلكترونيا، واستصعب الاتصال بمن كانت بحوزتهم مثل كتاب القيروان والشابية

(1450-1592) لصاحبه شارل مونشيكور، وكتاب مؤنس الأحبة في أخبار جربة لصاحبه محمد أبو راس الجربي، وأيضا كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية لشارل أندري جوليان... وغيرهم

-وجود الكثير من التناقض في الأحداث التاريخية هذا ما دفعنا إلى تعريض الأحداث للنقد للتأكد من الحقائق.

-انتشار وباء كوفيد 19 هذا ما منعنا من التنقل إلى الجامعات والمكتبات بل أعاق جهودنا في إنجاز هذه المذكرة بشكل كبير.

-تسقيف عدد صفحات الدراسة، هذا ما دفعنا إلى العمل جاهدين للتقيد بعدد الصفحات معتمدين على الاختصار في سرد الوقائع وتجنب الأحداث الثانوية.

وجود العديد من الدراسات المتعلقة بالموضوع، هذا ما دفعنا لإبراز حقائق جديدة رغبة في تجنب التكرار.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد، وساندنا في إنجاز هدا العمل، حيث نتوجه بخالص الشكر إلى المشرفة الأستاذة **رحيمة بيشي** التي لم تبخل علينا بالمساعدة المادية والمعنوية، وساعدتنا كثيرا في التوجيه وتصويب الأخطاء الواردة في بحثنا.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول إذا أصبنا في هذه الدراسة فهو توفيق من الله وحده، وإما إن كان غير ذلك، فحسبنا أننا اجتهدنا وحاولنا.

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية لإسبانيا وتونس والدولة العثمانية

أواخر القرن 9هـ/15م بداية القرن 10هـ/16م

المبحث الأول: الأوضاع السياسية لإسبانيا أواخر القرن 9هـ/15م بداية 10هـ/16م

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية لتونس أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية للدولة العثمانية أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م

إن دراسة الأوضاع السائدة في كل من إسبانيا، تونس، والدولة العثمانية أواخر القرن الخامس عشر بداية القرن السادس عشر ميلادي، مهمة جدًا لمعرفة التغيرات التي ستطرأ في هذه المناطق لأنها تمثل الأرضية التي حفرت العلاقات بينهم، ومن هذا السياق نطرح الإشكالية التالية:

كيف كانت الأوضاع في كل من إسبانيا وتونس والدولة العثمانية؟

المبحث الأول: الأوضاع السياسية لإسبانيا أواخر القرن 9هـ/15م بداية 10هـ/16م

أولاً: الوحدة الإسبانية

ظلت الخريطة السياسية لشبه الجزيرة الإيبيرية[1][2] حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر، تتألف من عدة كيانات سياسية[3]،يحكم كل كيان ملك مستقل[4]، هذا ما جعل إسبانيا[5] تبحث بقوة عن وحدتها السياسية متخطية الحواجز التي كانت تعوق هذه الوحدة.

فالحواجز الجغرافية: تتمثل في التفاوت الجهوي العميق الذي تولد عنه انعزال العديد من المناطق التي تمسكت بذاتها واستقلالها.

---

[1] **شبه الجزيرة الإيبيرية:** يطلق على إسبانيا والبرتغال هذا الاسم، يحيط بهذه الجزيرة البحر من الجهات الأربعة، أما الإيبيرية فهي نسبة إلى أمة الإيبيري (Ibrere) أول من عمرت الجزيرة...للمزيد ينظر شكيب أرسلان: **الحلل السندسية في الأخبار والآثار ، الأندلس** ، المكتبة التجارية الكبرى، ط1، فاس، المملكة المغربية، 1936م، ج1، ص31.

[2] حنيفي هلايلي: **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى،(د، ط)، الجزائر، 2010م، ص115.

[3] هذه الكيانات تتمثل في مملكة البرتغال في الجزء الغربي، ومملكة النفار، ومملكة غرناطة في الجزء الشرقي، ومملكة قشتالة، ومملكة أرغون.. للمزيد ينظر: فيروز شوبان، عقاد تيزيري: **الوحدة الإسبانية وتأثيرها على سواحل شمال إفريقيا (1467–1535م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، إشراف: شدري معمر رشيد، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2019/2018م ص09.

[4] إلهام يوسف: (دوافع الإحتلال الإسباني للمغرب الأوسط "الجزائر" ما بين 1505–1518م)، في **مجلة جامعة تشرين**، (د.م.ن)، ع11، 2018/01/15م، ص337.

[5] **إسبانيا:** إسبانيا شبه جزيرة، تقع في الطرف الآخر البعيد من نهر الروم... للمزيد ينظر عبادة كحيلة: **القطوف الدواني في التاريخ الإسباني**، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1998م، ص11.

أما الحواجز الإقتصادية: فتمثلت في التفاوت الطبقي بفعل وجود قوات إقطاعية ذات امتيازات كبيرة[1].

لقد استطاعت إسبانيا تحقيق هذه الوحدة بالزواج السياسي بين فرديناند (Ferdinand) [2] صاحب أرغونة، وإيزابيلا (Isabelle) [3] صاحبة قشتالة في سنة 1469م[4]، وبذلك أصبح ثلث إسبانيا بيد الزوجين[5]، فابتدأ عهد جديد لإسبانيا المسيحية[6]، رغم التوجهات السياسية المختلفة لكل من أرغون وقشتالة.

أرغون: بحكم امتلاكها لجزر البليار، وصقلية، وسردينية ووجود أحد أفرادها على رأس مملكة نابولي تتجه نحو المتوسط من أجل تأمين طريق بحري آمن.

---

[1] محمد زروق: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17**، إفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2014م، ص61.

[2] **فرديناند**: من مواليد سوز (1452-1516م)، تولى الملك سنة 1474م...للمزيد ينظر أسماء ابلالي: (التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10هـ/16م قراءة في الدوافع والنتائج)، في **مجلة روافد**، جامعة غرداية، ع02، 2017م، ص37.

[3] **إيزابيلا**: ملكة قشتالة من مواليد مدريد (1451-1504م)، عملت على إقامة محاكم التفتيش وتشجيعها لإبادة المسلمين، ينظر: **نفسه**، ص37.

[4] شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، مصر، 1977م، ص77.

[5] عبد الحميد بن زيان بن أشنهو: **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، مكتبة جواد سماعي،(د،ط)، الجزائر، (د.س.ن)، ص13.

[6] إلهام يوسف: **المرجع السابق**، ص338.

قشتالة: بحكم موقعها الجغرافي تتجه نحو المحيط الأطلسي[1].

وما ساعد على تجاوز هذا الإختلاف وتوحيد القوى هو العامل الديني وعدائهم للإسلام والمسلمين سواء المتواجدين في شبه الجزيرة الإيبيرية أو في شمال إفريقيا[2].

بعد توحيد إسبانيا توجه الملكان اللذان أصبحا يعرفان بالملكين الكاثوليكيين مدفوعين بدوافع دينية للقضاء على آخر معاقل المسلمين في إسبانيا وهي غرناطة[3] 1492م، وذلك بعدما قاما بتثبيت سلطتهما الداخلية، وتقوية مراكزهما بإجلاء اليهود عن إسبانيا[4]، فكان هذا التطور في مساحة وقوة إسبانيا حافزًا للعرش الإسباني للاتساع في ما وراء البحار، هذا ما أدى للتنافس بين البرتغال والإسبان في مجال الكشوفات الجغرافية وفي المجال الاستعماري[5]، خاصة بعد اكتشاف كريستوف كولومبس (Christophe Colomb) إحدى جزر البهاما، كاد هذا التنافس ان يؤدي إلى

---

(1) الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانية خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2011/2010م، ص20.

(2) نبيل عبد الحي رضوان: **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، إشراف: محمد عبد اللطيف الجراوي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1987م، ص29.

(3) **غرناطة**: (1233-1492)، تأسست على يد محمد الأول الغالب بالله بن يوسف بن أحمد نصر في سنة 1237م، استولى عليها محمد الأول، استمرت قرنين ونصف... للمزيد ينظر: إلهام يوسف: **المرجع السابق**، ص338.

(4) ستار حامد عبد الله العماري، عباس حسن عيسى الجبوري: (المستعمرات الإسبانية في إفريقيا)، في **مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية**، ع11، جامعة بابل، العراق، 2015م، ص526.

(5) أحمد سالم: **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16**، مؤسسة شباب الجامعة،(د،ط)، مصر، 2011م، ص71.

اصطدام بين الدولتين، فقام البابا ألكسندر (Alexandre)[1] بتوقيع معاهدة توردیسلاس (Tordesillas)في 7 جوان1494 التي نصت على أن يتجه الإسبان إلى المناطق الواقعة شرقي حجر بادس[2]، بينما يتجه البرتغال إلى المناطق الواقعة غربي هذا الحجر[3].

وبوفاة فرديناند سنة 1516م عن عمر ناهز اثنين وستون عامًا[4]، آل العرش لحفيده شارلكان (Charles Quint) [5]، الذي ورث إمبراطورية متسعة الأطراف في أوروبا من الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا) حاليا، وأمريكا وأراضي في إيطاليا، لذلك سوف يسعى لتأكيد هذه القوة السياسية التي ورثها بقيادة حملة على الجزائر1541م، شاركت فيها أغلب الدول الأوروبية[6].

---

[1] **البابا ألكسندر السادس**: من مواليد جاتيفا (JATIVA) في إسبانيا في سنة 1431م، أصبح بابا من سنة 1492 م إلى غاية 1503م، اشتهر بقسوته في تنظيم الحرب ضد المسلمين.. للمزيد ينظر: بسام العسلي: **خير الدين بربروس (الجهاد والبحر 1470هـ**/1547م)، دار النفائس، ط1، بيروت، لبنان، 1980م، ص59.

[2] **بادس**: مدينة على سواحل البحر الأبيض المتوسط، يسميها الإسبان "فليس دولاكومبر"، تقع بين جبلين شاهقين قرب واد سحيق.. للمزيد ينظر حسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي و محمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان ، 1983م، ج1 ، ص325.

[3] شوقي عطاالله الجمل: **المرجع السابق**، ص77.

[4]Fray Diego de Haido: **Histoire des rois d'Alger**, traduit par: DE Grammont H.d , Adolphe Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1881, p19.

[5] شارلكان: (1500-1558م)، يعرف أيضًا بشارل الأول، والده ضون فليب وأمه ضونيا خوانا، ولد في بلجيكا، وتولى عرش إسبانيا عام 1517م واستمر حتى عام 1556م. ينظر محمد عبده حتامله: **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة**، دائرة المكتبة الوطنية ،(د،ط)، عمان، 2009م، ص999.

[6] محمد السعيد بوبكر: **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي (119-1206هـ/1708-1792م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: مختار حساني، المركز الجامعي، غرداية، 2011/2010م، ص41.

ثانيا: سقوط غرناطة 1492م

1) التوجه نحو غرناطة وإسقاطها: بعد اتحاد مملكتي قشتالة وأرغون بالزواج السياسي بين إيزابيلا وفرديناند[1]، اجتمعت القوى النصرانية لشن حرب على غرناطة المسلمة، خاصةً من جانب إيزابيلا التي وقعت تحت تأثير الأحبار المتعصبين وفرديناند الذي جمع خصال الغدر والميكيافيلية[2].

أول ما قام به الصليبيون في مواجهة المسلمين في الأندلس هو قطع الإمدادت التي كانت تحصل عليها غرناطة من المغرب العربي، وذلك باحتلالهم لجبل طارق سنة 767هـ/1462م[3]، وبعده سقطت لوشة 1486م ثم بالش و مالقة ومرية في العام 1487م و بسطة في 1489م[4].

بعد أن احتل الإسبان أغلب الأرجاء الأندلسية، لم يبقى أمامهم سوى غرناطة التي كانت مسألة الاستيلاء عليها مسألة وقت فقط[5]، فسار فرديناند نحو غرناطة مع مطلع 1491م بجيش قوامه بين 50 إلى 80 ألف من الفرسان والمشاة وحاصرها حصارًا صارمًا، عازمًا على فتحها أو استسلامها لكن استماتة مسلميها في الدفاع عنها ردته خائبا كما أنهم كادوا يأسرون الملكة[6]، دام

---

(1) جمال يحياوي: **سقوط غرناطة ومأساة الأندلس 1492–1610م**، دار هومة،(د،ط)، الجزائر، 2004م، ص33.

(2) **نفسه**، ص34.

(3) مريم بوخاوش: **أثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط 6–10هـ/12–16م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: مبارك بوطارن، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2015/2014م، ص59.

(4) ج.س. كولان: **الأندلس**، تر: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس وآخرون، دار الكتاب المصرية،(د،ط)، 1980م، ص138.

(5) أسماء بوشيخي: **سقوط غرناطة (قراءة في معاهدة التسليم)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ السياسي والحضاري، إشراف: محمد دلباز، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة، 2017/2016م، ص09.

(6) جمال يحياوي: **المرجع السابق**، ص37.

الحصار 7 أشهر في غياب المؤونة[1]، هذا ما أدى إلى تفاقم المجاعة في المدينة وتراجعت الآمال بالنجدة[2].

عندئد اجتمع الأعيان والفقهاء وقواد الجيش مع أبي عبد الله[3] لإيجاد حل للأزمة المستعصية، فإما التسليم أو الموت، فاختاروا التسليم، وتم إرسال وفد إلى معسكر فرديناند مزود بشروط التفاوض[4]، وتمت المفاوضات مع الملكين الكاثوليكيين وتوصلا إلى صياغة معاهدة التسليم النهائية في نوفمبر 1491م الموافق لمحرم 897هـ[5]، وبذلك استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهنا، خوفا من الغدر وكانت المعاهدة تتضمن سبعة وستين بندا[6].

---

(1) رحيمة بيشي: **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898-982هـ/1494-1574م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: شكيب بن حفري، جامعة غرداية، 2012/2011م، ص25.

(2) واشنطن ايرفنغ: **أخبار سقوط غرناطة**، تر: دهاني يحي نصري، مكتبة الانتشار العربي،(د،ط)،(د.م.ن)، 2000م،ص402.

(3) **أبو عبد الله:** هو ابن عائشة الحرة نعت بالزغيب لأنه قليل الشعر، وعرف بالصغير للحقارة والتصغير لا لصغره، وهذا للتمييز بينه وبين عمه الأكبر، سلم غرناطة للملكين الكاثوليكيين سنة 1492م. ينظر محمد قموز، خالد زياولة: **الهجرة الأندلسية وأثرها على المغرب الأوسط من القرن 16م إلى 19م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: مهدية طيبي، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2017/2016م، ص11.

(4) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص25.

(5) جمال يحياوي: **المرجع السابق**، ص37.

(6) أحمد المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تح: إيجان عباس، دار صادر،(د،ط) بيروت، 1968م، مج4، ص525.

لما اضطر السلطان أبو عبد الله إلى مهاجرة ملك أجداده وقف يبكي على الأحبة والمنازل فقالت له أمه عائشة التي كانت بصحبته مع كبار الحاشية "ابكي الآن بكاء النساء، الملك الذي لم تحسن المدافعة عنه مدافعة الرجال"[1].

إن أول ما فعله الملكان حين دخولهما المدينة هو تقدمهما إلى المسجد الجامع فيها، حيث حولاه إلى كاتدرائية فورًا، ودخلاه للصلاة فيه شكرًا للرب، ورافقتهما أغاني النصر[2].

2) نتائج سقوط غرناطة وانعكاساتها:

عقد الإسبان مع الأندلسيين عهودا ومواثيقا، قسم ملوكهم وكبار رجال دينهم على الوفاء بما تضمنته، ولكنهم حرفوا جميع هذه العهود، بعد أن وضع الشعب العربي سلاحه وتجرد من أسباب الدفاع عن نفسه[3]، فكانت تلك الشروط مجرد اغراء لهم، وتعجيلا بالاستسلام، ولتجنب مقاومة قد تكلفهم كثيرًا[4].

وفعلا لم يمر وقت قصير على المعاهدتين، حتى بدأ الإسبان ينفذون مخططهم القاضي بتنصير المسلمين، وبطرد من حاول البقاء على دينه[5]، ولم يتوقف الأمر عند حد التهجير والتنصير وإنما

---

(1) الفيكونت دوشنو بريان، آربني سراج: **خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة**، (د.د.ن)،(د،ط)، مصر، 1925م، ص4.

(2) واشنطن ايرفنغ: **المرجع السابق**، ص409.

(3) أسعد حومد: **محنة العرب في الأندلس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، (د.م.ن)، 1988م، ص06.

(4) رامز إسماعيل الحلبي: **عوامل سقوط الأندلس (92هـ/711م–798هـ/1492م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف: يونس عبد العزيز الخالدي، الجامعة الإسلامية، 1436هـ/2015م، فلسطين، ص198.

(5) راغب السرجاني: **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، مؤسسة اقرأ، ط1، القاهرة، 2011م، ج1، ص694.

أعقب ذلك، قام الكاردينال خمينيس[1] بحرق ثمانين ألف كتاب جمعت من غرناطة وأرباضها في يوم واحد، ثم أنشأ الإسبان محاكم التفتيش[2]،

وذلك للبحث عن المسلمين الذين ادعوا النصرانية[3].

ونتيجة لذلك لجأ المسلمون الموريسكيون إلى القيام بثورات وانتفاضات في أغلب المدن الإسبانية والتي يوجد بها أقلية مسلمة، وخاصة غرناطة، فأخمدت تلك الثورات بدون رحمة ولا شفقة من قبل السلطات الإسبانية[4]، فاستنجد المسلمون في الأندلس بالمغرب الذي كان ضعيفا من الجانب العسكري، لذا لم يكن بإمكانه مساعدة إخوانه الأندلسيين ونجدتهم عسكريًا، فقد كانت أرض المغرب مسرحًا للهجومات الإسبانية والبرتغالية من البحر[5]، كما استنجد الأندلسيون بالممالك في مصر لكن ضعف هؤلاء وانشغالهم بضمان ملكهم كان أقوى من نجدة الأندلسيين[6]، أما الدولة

---

(1) **الكاردينال خمينيس**: ولد بقشتالة (1436-1517) عين أمين لسر المملكة 1492م، ثم كاهنا لطليطلة 1495م، ثم حاكما لقشتالة حتى وفاة الملكة 1504م، ثم رئيسا لمحاكم التفتيش (1506-1516) استولى على وهران سنة1509م اشتهر بقسوته الوحشية في إبادة المسلمين. ينظر بسام العسلي: **المرجع السابق**، ص45.

(2) **محاكم التفتيش**: وردت محاكم التفتيش بتسميات مختلفة باختلاف القائمين عليها، والمكتوين بنارها، فمحكمة التفتيش هي ديوان للتحقيق، والسجن التابع لها هو البيت المقدس وذلك من جهة النصارى، والكفار هم رجال محاكم التفتيش. ينظر محمد عبده حتامله: **المرجع السابق**، ص1097.

(3) راغب السرجاني: **المرجع السابق**، ج1، ص697.

(4) فتحي زغروت: **العثمانيون ومحاولات انقاذ مسلمي الأندلس منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي (898-1115هـ/1492-1609م)**، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، (د.م.ن)، 2012م، ص41.

(5) محمد قشتيليو: **حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها**، مطابع الشويخ، ط1، تطوان، 2001م، ص29.

(6) نجيب دكاني: **الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائري خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، الجزائر، 2002/2001م، ص15.

العثمانية فهي على جبهتين، الدول الأوروبية شمالاً على الحدود البيزنطية، والخطر المغولي من الجنوب، فلم يعد لهؤلاء الفارين من بطش الرهبان والكنيسة ومحاكم تفتيشها سوى المغرب الإسلامي[1].

ثالثا: دوافع الغزو الإسباني لشمال إفريقيا[2]

دينيًا:

تتسم أغلب الحملات الإسبانية في الشمال الإفريقي بالسمة الصليبية، فقد كان هدفها الأساسي هو نشر النصرانية في البلدان التي يضع الإسبان عليها أيديهم، ومحاولة الأديان الأخرى تجميع الوسائل[3]، المدعومة من البابا والكنائس ورجال الدين من قساوسة ورهبان، فقد دعت الكنيسة جميع النصارى للمساهمة في تجسيد مشروع القضاء على الإسلام والمسلمين ونشر المسيحية[4].

فقد أمر البابا ألكسندر السادس كل المسيحيين بدفع الضريبة الصليبية (CRUSADA) لملوك إسبانيا من أجل حرب إفريقيا وجمع القساوسة والرهبان أموالا باهظة في سبيل ذلك[5].

ويظهر الطابع الديني للتدخل الصليبي في المغرب العربي في وصية الملكة إيزابيلا لابنتها قبيل وفاتها في سنة 1504م[6].

---

(1) نجيب دكاني ،**المرجع السابق**، ص16.

(2) ينظر الملحق رقم (01)، ص117.

(3) عمر محمد الباروني: **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي،(د،ط)، طرابلس، ليبيا، 1952م، ص05.

(4) محمد قموز، خالد زياولة: **المرجع السابق**، ص18.

(5) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م**، الشركة الوطنية،(د،ط)، الجزائر، (د.س.ن)، ص80.

(6) إلهام يوسف: **المرجع السابق**، ص343.

قالت: "أرجوا من الأميرة ابنتي والأمير زوجها، بصفتهما أميران صليبيان (مسيحيان) الاعتماد على ما نص عليه الرب والعقيدة المقدسة وأن يعملا بدون هوادة باحتلال إفريقيا في سبيل العقيدة ضد الخارجين عن الدين (المسلمون)" [1].

وتحت ضغوط الكنيسة وعلى رأسها الكاردينال "خيمينس" جهزت إسبانيا أسطولا ضخما لغزو شمال إفريقيا بمباركة البابا ألكسندر السادس عام 1494م، مما يدل أن العدوان الصليبي هدفه ضرب الإسلام والمسلمين في هذه البلاد[2].

1) الدوافع العسكرية والسياسية:

لعب العامل العسكري دورًا كبيرً في احتلال سواحل المغرب، لأن إسبانيا في مطلع القرن السادس عشر ميلادي كانت في أوج قوتها، ففرضت سيطرتها على أمريكا ومعظم دول أوروبا وبعدها وجهت أنظارها إلى شمال إفريقيا[3].

لم تكن الأوضاع السائدة في بلاد المغرب غائبة عن ملوك الإسبان فقد كان لهم جواسيس مندسين في المنطقة[4]، بحيث بدأت هذه الأعمال التجسُسية عقب سقوط غرناطة، إذ عينت الملكة إيزابيلا لورنيثودي باديا (Lorenzo de badia) في مهمة تجسُسية سرية هدفها الاستطلاع على

---

[1] المهدي بن شهرة: **تاريخ وبرهان بن حل بوهران**، دار الريحانة للكتاب، ط1، الجزائر، 2007م، ص121.

[2] أسماء ابلالي: **المرجع السابق**، ص38.

[3] محمد قموز، خالد زياولة: **المرجع السابق**، ص18.

[4] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792م)**، دار هومة،(د،ط)، الجزائر، 2012م، ص28.

أحوال تلمسان وتوابعها[1]، فذهب إليها في زي تاجر مسلم، وبصحبة البندقي الإيطالي جيرو منيوفيانيللي (Geromino viamelli) ، بقي قرابة عام جمع العديد من المعلومات[2].

وفي سنة 1494م أرسل الملك فرديناند جاسوسا آخر وهو فيرناندو دي زافيرا (Fernando de Zafira) بلغه: "أن الحالة النفسية في كامل البلاد بلغت حدا من الانهيار يحمل على الاعتقاد أن الله أراده في متناول أصحاب الجلالة[3].

2) الدوافع الاقتصادية:

بعد الكشوفات الجغرافية التي قامت بها إسبانيا، سعت للقضاء على تجارة المسلمين[4]،خاصةً أن إسبانيا تعرضت لانهيار اقتصادي رهيب بعد طرد المسلمين واليهود من أراضيها، بحيث كانوا يشكلون العمود الفقري لاقتصاد بلاد الأندلس، لذلك توجهوا إلى بلاد المغرب كإجراء وقائي وسلوك يراد منه الرغبة في وضع حد لهذه الأزمة الخانقة[5]، ومن أجل نهب ثروات إفريقيا من ذهب وفضة ونحاس وغيرها[6].

---

(1) دغموش كاميلية: **قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509–1792م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: محمد دادة، جامعة وهران، 2014/2013م، ص26.

(2) يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2009م، ج2، ص08.

(3) عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص45.

(4) بغداد خلوفي: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، مستوى ثانية تاريخ عام، المركز الجامعي نور البشير، البيض، 2016/2015م، ص07.

(5) عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص32.

(6) فيصل محمد موسى: **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة،(د،ط)، بنغازي، ليبيا، 1997م، ص72.

لقد كانت السياسة الإسبانية تهدف إلى تأمين طريق بحري آمن بين اشبيلية وصقلية الغنية بالحبوب، ولتحقيق ذلك كان لابد لها من نقاط ارتكاز على سواحل شمال إفريقيا خاصة أن المنطقة كانت محطة هامة للتجار القادمين من جنوة والبندقية[1]، وباحتلال شمال إفريقيا يصبح البحر الأبيض المتوسط بحرًا إسبانيا، خاصة أنها تملك الساحل الجنوبي الغربي من إيطاليا وكل الجزر التي به، وبذلك تستطيع تشكيل وحدة اقتصادية قوامها الاتصال المباشر بين شمال البحر المتوسط وجنوبه[2].

3) دوافع إستراتيجية انتقامية:

يتميز البحر الأبيض المتوسط بموقع إستراتيجي مهم[3]، فهو يضم ثلاث قارات ويعتبر شبكة ربط بين بقاع العالم (الشرق والغرب، الشمال والجنوب)، وكان المتوسط مجالاً لصراعات الدول العظمى وبين كيانات متجاورة طيلة عقود من الزمن وفي فترات متفاوتة[4]، وهذا ما يظهر جليًا عندما هاجر المسلمون المنفيون من إسبانيا وأسسوا مستوطنات على طول سواحل شمال إفريقيا، وعقدوا العزم على الانتقام من جلاديهم، وذلك بالإغارة على سواحل إسبانيا المألوفة لديهم ومهاجمة السفن

---

(1) إلهام يوسف: **المرجع السابق**، ص346.

(2) أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص89.

(3) محمد قموز، خالد زياولة: **المرجع السابق**، ص18.

(4) حسام الدين بوعيسي: **القرصنة البحرية وتأثيرها على المنطقة العربية**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، إشراف: جلول شتيتور، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013/2012م، ص43.

النصرانية خاصة مضيق جبل طارق وجزيرة مالطة[1]، فصار الإسبان يطاردونهم في البر والبحر[2]، وذلك خوفًا من هجوم المسلمين المضاد بعد اتحادهم مع أهالي شمال إفريقيا [3] .

ولقد أدت هذه الحرب البحرية غير النظامية بين المسلمين والإسبان في البحر الأبيض المتوسط والتي عرفت بالقرصنة (Piracy) لدى المسيحيين [4]، أو الجهاد البحري عند المسلمين[5] إلى توجه فرديناند إلى شمال إفريقيا من أجل تحطيم[6] وكر القراصنة[7] [8].

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996م، ص66.

[2] نورالدين عبد القادر : **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة،(د،ط)، الجزائر، 2006م، ص61.

[3] وليام سبنسر: **الجزائر في عهد الرياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية، دار القصبة،(د،ط)، الجزائر، 2006م، ص34.

[4] **القرصنة:** عرفت في بداية القرن 16 بأنها إستراتيجية تسمح بشن الحملات، ثم اتسع نطاقها بعد ظهور الدولة العثمانية، وتعددت اتجاهاتها خاصة في القرن 17...للمزيد ينظر: إبراهيم سعيود: (القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجًا)، في **مجلة الواحات**، جامعة غرداية ،ع11، 2011م، ص149.

[5] ناهد إبراهيم دسوقي: **دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية،(د،ط)، الإسكندرية، مصر، 2011م، ص07.

[6] عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص41.

[7] **نفسه:** ص42.

[8] ينظر الملحق رقم(02)،ص 118.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية لتونس أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م

أولاً: التعريف بالدولة الحفصية وامتدادها الجغرافي

لقد تأسست دولة بني حفص سنة 1288م، الموافق لـ626هـ، وهي دولة تتابع على حكمها خلال ثلاث قرون سلسلة طويلة من الأمراء الذين حسبت تونس[1] تحت حكمهم في عداد دولة العالم الإسلامي المزدهرة[2]، حيث بدأت الدولة الحفصية كإمارة مستقلة في عهد أبي زكرياء يحي الأول ثم تحولت إلى خلافة في عهد ولده أبي عبد الله محمد المستنصر بالله أمير المؤمنين[3][4].

يرجع نسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر بن يحي بن محمد بن والد بن علي بن أحمد بن ولال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن عمر بن وافتن بن محمد بن محمد بن محبة بن كعب بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[5].

اختلفت التسميات التي أُطلقت على المنطقة التي قامت عليها الدولة الحفصية، ففي العصور القديمة كان يطلق عليها إفريقية، وفي الوقت الحاضر نسميها أحيانا بلاد البربر الشرقية تطابق بوجه

---

(1) **تُوْنُسِ**: بالضم ثم السكون، والنون تضم وتفتح، وتكسر، وهي مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، وكان اسم تونس في القديم ترشيش، وهي الآن قصبة بلاد إفريقية. ينظر: الياقوت الحموي: **معجم البلدان** ، دار صادر،(د،ط)، بيروت، لبنان ،(د.س.ن)، مج2، ص60.

(2) البارون الفونص روسو: **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تر وتح: محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قار يونس،(د،ط)، بنغازي، ليبيا،(د،س،ن)، ص83.

(3) أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة ،(د،ط)، مصر،(د.س.ن)، ص18.

(4) ينظر الملحق رقم (03)، 119.

(5) أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع: **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح وتق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب،(د،ط)،تونس، 1984م، ص84.

عام[1] البلاد التونسية الحالية بالإضافة إلى البلاد الطرابلسية في الجنوب ومنطقة قسنطينة[2] في الجهة الغربية[3]،

حيث امتدت حدود الدولة الحفصية فقد كانت تشمل الأراضي التي تقابلها اليوم طرابلس الغرب[4] في ليبيا والجمهورية التونسية وجزء كبير من الجمهورية الجزائرية الذي يشمل ولايات عنابة، قسنطينة وبجاية وتدلس[5] غربا، وما بعد ورقلة في الصحراء الجزائرية جنوبا. وكانت مدينة تونس هي عاصمة المملكة الحفصية[6]، إلا أنه في فترات الفتن والاضطرابات والمنازعات السياسية تعددت العواصم لهذه المملكة، فكانت بجاية وقسنطينة تشارك تونس في هذه المهمة[7].

---

(1) عائشة رحماني، مريم رحماني: **الحركة العلمية في الدولة الحفصية (625–981هـ/1277–1574م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام، إشراف: خالدي مسعود، جامعة قالمة، 2017/2016م، ص18.

(2) **قسنطينة:** تقع بين تيجس وميلة ، فيها آثار وبها أسواق وتجار، وأهلها مياسير ذو أحوال وأموال ومعاملات للعرب. ينظر: محمد عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة**، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص480.

(3) عائشة رحماني، مريم رحماني: **المرجع السابق**، ص18.

(4) **طرابلس الغرب:** مدينة قديمة فينيقية، احتلها القرطاجيون سنة 795ق. م، وهي أحد المراكز الفينيقية التي أنشأوها على الساحل الإفريقي، يقال أنها أنشئت زمن قرطاجنة. ينظر: الطاهر أحمد الزاوي: **معجم البلدان الليبية**، ط1، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، 1968م، ص23.

(5) **تدلس:** (دلس) مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو تسعة وثلاثين ميلا من شاطئ البحر المتوسط. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **المصدر السابق**، ج2، ص42.

(6) أحمد مختار العبادي: **المرجع السابق**، ص181.

(7) جميلة مبطي المسعودي: **المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 261هـ وحتى سنة 893هـ**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: المنسي محمود عاصي، جامعة الجزائر، 1461هـ/2000م، ص63.

ثانيًا: محطات في تاريخ الدولة الحفصية

1) الدولة الحفصية بين القوة والضعف:

إن الدولة الحفصية عاصرت دولة بني زيان وانفصلت عن دولة الموحدين وكانت وريثهم[1]، حيث استقلت رسميا[2] في أيام أبي زكريا بن أبي محمد عبد الواحد أبي حفص الملقب بالأمير المرتضى، واتسع ملكه فتغلب على تلمسان وكافة المغرب الأوسط وبلاد الجريد[3] والزاب[4] وأنشأ في تونس الأبنية العظيمة، توفي في ساحة بونة سنة (1249م/ 647هـ)[5].

بويع المستنصر بالله يوم وفاة أبيه، وقام عليه لأول ولايته ابن عمه (محمد اللحياني) طامعا في الاستيلاء على المملكة غير أن المستنصر انتصر عليه، وذاع صيته بالآفاق وعظم شأنه، وفي أيامه عظمت حضارة تونس وتأنق الناس في الملابس والمراكب والمباني والأواني[6].

وبوفاة هذا الأخير انتهى العصر الذهبي الأول للدولة الحفصية وبدأ عصر الاضطرابات والتفكك في أنحاءها وذلك بسبب السياسة التي اتبعها زكرياء الأول مؤسس الدولة الحفصية التي

---

(1) رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، دار الهدى، (د،ط)، الجزائر، (د.س.ن)، ص475.

(2) محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تح: محمد الشاوش، محمد عجينة، دار سراس، ط 3، تونس، 1993م، ص53.

(3) **بلاد الجريد**: يمتد هذا الإقليم من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة، ويبعد جزء كبير منه عن البحر المتوسط كقفصة، وهذه البلاد شديدة الحرارة وكثيرة الجفاف. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **المصدر السابق**، ج2، ص137.

(4) **الزاب**: يقع هذا الإقليم في وسط مفازات نوميديا، ويبتدئ غربا من تخوم مسيلة ويحده شمالا جبال مملكة بجاية، ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد، وجنوبا إلى المفاز. ينظر: **نفسه**، ج2، ص138.

(5) محمد بن عبد القادر : **تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر**،(د،ط)، الإسكندرية، 1903م، ج1، ص ص59 .60

(6) حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، ط3، تونس، 1953م، ص110.

تتمثل في جعل ولاية العهد قاصرة على أبناء السلطة فقط، وهذا الأمر جعل الصراع يشتد بين أبناء البيت الحفصي[1].

وفي القرن التاسع الهجري عادت الدولة الحفصية إلى قوتها، فامتد نفوذ أبي فارس عبد العزيز (1393-1434م) إلى تلمسان[2]، وأطاعه سلاطين بني زيان، وحافظ على هذا النفوذ أبو عمرو عثمان (1435-1487م) بعده[3]، حيث كان عهدهما عهد انبعاث للسلطة الحفصية من جديد، وقد سارا على نهج المؤسسين الأولين في التقرب من الرعية والتماس حاجاتهم[4]، فكان أبو عمرو عثمان محافظا على الدين ومشرفا على جلسات رجال الفكر والأدب[5].

وبوفاة السلطان أبو عمرو عثمان اضطربت الأمور من بعده، فكان هناك تتابع سريع لحكام بني حفص، وانخفاض تدريجي للقوة المركزية تحت ضغط البدو المتمردين[6]، فدخلت البلاد في فترة صعبة تولى فيها الحكم سلاطين ضعاف متكالبون على الحكم استنجدوا بالإسبان فأكلتهم الفتنة[7].

---

(1) أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة،(د،ط)، تونس،(د،س،ن)، ص44.

(2) **تلمْسانٍ**: بكسرتين وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تِنمسان، بالنون عوض اللام، وهي عبارة عن مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما حجر، إحداهما قديمة وأخرى حديثة، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت، يسكنها أصحاب السلطان، والقديمة أقادير يسكنها الرعية. ينظر: الياقوت الحموي، **المرجع السابق**، مج2، ص44.

(3) رابح بونار: **المرجع السابق**، ص475.

(4) جميلة مبطي المسعودي: **المرجع السابق**، ص66.

(5) روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13ّ إلى نهاية القرن 15**، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988م، ج2، ص39.

(6) M.L. Tarizzae: **Early arab coins of Tunisia the hafsid (627-982AH /1230-1574 AD)**, Oriental numismatic society information, No:22, Janoury1980,p02.

(7) أحمد الطويلي: **في الحضارة العربية التونسية**، دار المعارف، ط1، (د.م.ن)، 1988م، ص19.

2) الدولة الحفصية في مرحلة الضعف:

بعد وفاة أبو عمرو عثمان، جاء من بعده زكرياء ابن عمه أبو عبد الله، وفي مدّة حكم هذا السلطان شهدت الدولة الحفصية بداية فترة ثانية من الإنحطاط، كونه ضعيف الشخصية ومحب للملذات[1]، فلم تعد الدولة الحفصية متماسكة كما كانت من قبل، إذ استقلت عنها مناطق كثيرة، لدرجة جعلت ابن أبي دينار يعتبر ذلك "ختام بني أبي حفص"[2]، فلقد كانت بينه وبين العرب وقائع كثيرة، حيث هُزم على القيروان، ويمكن اعتبار السلطان محمد هذا ختام أبي حفص ومن بعده اسم ولا رسم، وتوفي يوم الخميس، الخامس والعشرين من ربيع الأخير سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة[3].

وفي سنة 1526م تولي من بعده ابنه محمد الحسن الذي اضطربت الدولة في عهده وفقدت ما بقي لها من هيبة، وتأزمت الأوضاع الاقتصادية والثقافية والسياسية أكثر[4].

فلقد كانت الدولة الحفصية تخضع لهجمات قبائل عربية وصلت جموعها في حالات عديدة إلى أسوار مدينة تونس نفسها، فإذا كانت جزيرة جربة[5] أفلتت من سيطرة كل من سلطة الحفصيين

---

(1) روبار برنشيفك: **المرجع السابق**، ج1، ص310.

(2) محمد بن عميرة، لطيفة بشاري بن عميرة: **تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية في عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين**، دار الفاروق، ط1 ، الجزائر، 2015م، ص289.

(3) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، ط1، تونس، 1869م، ص150.

(4) طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع إسبانيا ما بين 1520–1792م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد القادر صحراوي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2019/2018م، ص45.

(5) **جربة**: بالفتح ثم السكون، والباء موحدة خفيفة: قرية بالمغرب لها ذكر كثير في كتاب الفتوح، وجربة بكسر الجيم، هي جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قرب قابس، يسكنها البربر. ينظر: الياقوت الحموي: **المرجع السابق**، مج2، ص118.

وسيطرة البدو نتيجة لصعوبة الوصول إليها[1]، فإن مدن الساحل الشرقي مثل مدن الجريد أخذت استقلالها الذاتي وعاشت تحت رعاية مؤسساتها البلدية القديمة بشرط دفع الرسوم لهم[2].

وعموما فلقد تميزت فترة حكم مولاي الحسن بالاستهتار والاستئثار بالسلطة، حيث مال إلى التعاون مع الإسبان وعقد صلحا مع فرسان القديس يوحنا[3].

ونتيجة لهذه الأوضاع انهارت السلطة الحاكمة، وفقد الأمن وغاب الرادع ضد القوى المحلية التي أعلنت انفصالها في كامل البلاد وتوابعها، وزاد الطين بلة ظهور الاحتلال الإسباني على السواحل المغاربية التي بدأت في السقوط الواحدة تلوى الأخرى[4].

ثالثًا: الغزو الإسباني للسواحل الحفصية:

1) بجاية:

في مطلع القرن 16م اشتدت غارات الإسبان ضد وهران والمرسى الكبير، في إطار الحروب الصليبية التي شنوها على بلدان المغرب، ولما تمكن الإسبان من المنطقتين[5]، كان الهدف الثاني للكاردينال خيمينيس هو نقل الهجوم من المغرب إلى المشرق، بالتوجه نحو بجاية نظرًا لأهمية موقعها وللمكانة التي تحتلها[6].

---

(1) جلال يحي: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث ،(د،ط)، الإسكندرية، 1999م، ص54.

(2)Ernest Mercier: **Histoire de l'Afrique septentrionale**,3T, Ernest le Lerroux éditeur, Paris 1891, T3, p6.

(3) محمد سهيل طقوش: **تاريخ الدولة العثمانية من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، دار النفائس ،ط3، بيروت، لبنان، 2013م، ص221.

(4) الطاهر تومي: **المرجع السابق**، ص46.

(5) يحي بوعزيز: **مدينة وهران عبر التاريخ**، عالم المعرفة،(د،ط)، الجزائر، 2009م، ص40.

(6) صالح كليل: **سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: علي أجقو، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2007/2006م، ص50.

انطلق الأسطول الإسباني الموجه ضد بجاية بقيادة بيدرو نافارو (Pedro Navarro) [1] من المرسى الكبير يوم 30 نوفمبر 1509، متهجا إلى جزر البليار، حتى يستطيع تحقيق المفاجأة، وقضى شهر ديسمبر هناك حيث جاءه المدد من إسبانيا[2].

أبحر الكونت بيدرو نافارو متجها بحملته ضد بجاية ومعه 14 سفينة كبيرة محملة بالجنود ولم يشعر به أحد في بجاية، لذلك فوجئ أهلها بهجومه ففروا إلى الجبال فكانوا يظنون أن الدون بيدرو لن يلبث حتى ينسحب بعد نهب المدينة[3]، غير أن الإسبان نقلوا ما بها من تحف ونفائس وعمدوا إلى تحطيم ما تعذر نقله[4]، وتمكنوا من تشييد قلعة قرب البحر في موضع ملائم من الشاطئ[5].

وباحتلال بجاية دق ناقوس الخطر في شمال إفريقيا، إذ توجه الإسبان بعدها إلى احتلال عنابة في نفس السنة، مما جعل بقية المدن من الوسط وشرق وغرب البلاد تستسلم للإسبان وتهادنهم على دفع الضرائب[6].

وأدى الانتصار المباشر للإسبانيين على حامية بجاية إلى خضوع السلطان الحفصي أبي عبد الله إلى السلطات الإسبانية وخضوع الجزائر وتعهد حاكمها سالم التومي بدفع الجزية[7].

---

[1] **بيدرو نافارو**: قائد إسباني، قاد حملة على وهران عام 1509م وأخرى على مدينة طرابلس الغرب وبجاية عام 1510م....للمزيد ينظر: أسماء ابلالي: **المرجع السابق**، ص44.

[2] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي1514 .1830** ،دار هومة،(د،ط) ، الجزائر ، 2012م، ص49.

[3] الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **المصدر السابق**، ج2، ص51.

[4] شوقي عطاالله الجمل: **المرجع السابق**، ص73.

[5] الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **المصدر نفسه**،ج2، ص51.

[6] أسماء ابلالي: **المرجع السابق**، ص45.

[7] بسام عسلي: **المرجع السابق**، ص147.

2) طرابلس:

عجزت القوات الإسبانية أمام مقاومة سكان تونس من السيطرة على القسم الشرقي، فرأى بيدرو نافارو أن يغير خطته ويبدأ بالتقدم باتجاه الساحل الشمالي عن طريق السيطرة على طرابلس الغرب ليتمكن بعدها من تضييق الخناق على القسم الشرقي[1].

سبب أخذهم لطرابلس أن أهلها بعد دخولهم في طاعة الموحدين كثرت أموالهم وتجارتهم واطمأنوا ولم يشتغلوا بالحرب ولم تكن لهم الخبرة فقدمت عدة سفن مسوقة بأنواع البضاعة وفيها من كل نوع كثير فتقدم إليهم تاجر من تجار المدينة فاشترى عليهم جميع السلع وقدم لهم ثمنها[2]، ثم استضافهم رجل آخر فصنع لهم طعاما فاخرا ورشه بالياقوتة، فلما رجعوا إلى بلدهم سألهم ملكهم عن حال البلاد فقالوا: "ما رأينا بلدا أكثر منها مالا وأقل سلاحا وأعجز أهلا من مدافعة العدو"، فتأهب ملكهما للاستيلاء عليها[3].

لما بلغ أسطول "نافارو" شواطئ طرابلس فتح نيران مدافعه على المدينة، وكان ذلك على الساعة 9 من صباح يوم الخميس 25 جويلية 1510م، حيث تمكن الإسبان من إنزال 11.000 جندي برا فدخلوا شوارع المدينة وبدأ القتال[4]، وكانت الحملة الإسبانية مكونة من 60 سفينة وعدد من المراكب ذات الشراعين و50 مركبا ذات الأشرعة الثلاثية و5 سفن مالطية مسلحة تسليحا جيدا[5].

---

(1) رابحة محمد خيضر: (دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني1500م)، في **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية** ، جامعة الموصل ،ع2 ، 23-24 ماي 2007، ص 109.

(2) عبد الله محمد بن خليل بن غلبون الطرابلسي: تا**ريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تع: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية ،(د،ط)،القاهرة، 1349هـ، ص92.

(3) أحمد بك النائب الأنصاري: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني،(د،ط)، ليبيا، (د.س.ن)، ج1، ص185.

(4) راسم رشدي: **طرابلس الغرب في الماضي والحاضر**، (د.د.ن) ،ط1، ليبيا، 1953م، ص87.

(5) ايتوري روسي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، تر: خليفة محمد التليسي، المنشأة العامة لنشر والتوزيع والاعلام ، ط1، طرابلس، ليبيا، 1969م، ص18.

تمكن الإسبان من احتلال المدينة بعد مقاومة ضاربة، ذهب ضحيتها الآلاف من المقاومين[1] 6 آلاف طرابلسي، وأُسر أكثر من خمسة عشر ألف شخص، وتم تحرير 180 إيطاليا كانوا رقيقا لدى الطرابلسيين[2].

3) جربة:

استقبلت أوروبا المسيحية نبأ احتلال طرابلس بفرحة عظيمة وشجع هذا النجاح ملوك إسبانيا أن يدفعوا بحملاتهم ضد إفريقيا الشمالية[3]، وحتى يتسنى لهم الاحتفاظ بها كان عليهم الاحتفاظ بجربة التونسية التي كانت تهدد الأمن الإسباني بالمنطقة[4].

وبذلك اتخذ الإسبان مدينة طرابلس نقطة انطلاق فقاموا بمحاولات عديدة لاحتلال جزيرة جربة، حيث كانت المحاولة الأولى في شهر ربيع الأول (916هـ/1510م)، والثانية في الشهر الموالي من نفس السنة بقيادة بيدرو نافارو[5].

أرسى الأسطول الإسباني في قناة القنطرة بجربة فأنزل القائد ثلاث رجال يتكلمون العربية ويحملون أعلاما بيضاء إشعارا بمجيئهم للتفاوض[6]، غير أن الجرابة لم ينتظروا منهم أي تبرير فقتلوا

---

(1) جمال هاشم أحمد الذويب: (**تثبيت الحكم العثماني في طرابلس الغرب**)، المؤتمر الدولي الأول حول الدراسات العربية، جامعة الشريف علي الاسلامية ،بروناي، 2011م، ص335.

(2) شارل فيرو:**الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، تر و تع: د. محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قار يونس، ط3، بنغازي، 1994م، ص77.

(3) يوسف بن أحمد الباروني: **جزيرة جربة في مواكب التاريخ**، تح: سعيد بن يوسف الباروني،(د،د،ن)،(د،ط)، جربة، 1998م، ص42.

(4) مصطفى عبيد: (طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين 1510-1551م)، في **مجلة الآداب والحضارة الإسلامية**، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ع18 جانفي 2015م، ص326.

(5) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص55.

(6) عمر محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص49.

واحد منهم، وألزموا البقية برمي أنفسهم بالبحر، وأمام هذا التصدي أصدر بيدرو نافارو أوامره بالتراجع[1]. وفي نفس السنة رجع الأسطول الإسباني إلى جربة ضاربا الحصار على الجزيرة بمراكبه التي بلغت 120 سفينة تحمل 15000 من المقاتلين مدججين بأنواع الأسلحة[2].

جرت المعركة في جو خانق شديد الحرارة، فانتهت بكارثة حيث أخذت القوات المسيحية تتهافت في فوضى، وأقام العرب لهم مذبحة في الموقع[3].

وكانت النتيجة باهرة لإن نصر الله عظيم، فالإسبان لم يستطيعوا الثبات أمام المدافعين فانسحبوا إلى مركزهم بطرابلس يحاولون الكرة مرات عديدة، لكن زوابع الخريف حطمت أغلب السفن أثناء العمليات [4]. وفي الشتاء أعد الكونت حملة ضد جزيرة قرقنة وهو يهدف من ذلك بصفة خاصة إلى الحصول على قاعدة بحرية لسفنه ولعمليات قادمة يقوم بها ضد جربة أو الساحل، إلا أن هذه العملية أيضا كان نصيبها الفشل[5].

أما المحاولة الثالثة لاحتلال جربة التي وقعت سنة 962هـ 1520م بقيادة نائب ملك إسبانيا في صقلية فإنها لم تنجح كذلك رغم كثرة جيشها إذ كان يشمل ألف فارس وأكثر من ثلاثة عشر ألف من المشاة [6].

---

(1) شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص79.

(2) يوسف بن أحمد الباروني: **المرجع السابق**، ص42.

(3) ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911**، تر: خليفة التليسي، الدار العربية، ط1، طرابلس، ليبيا، 1974م، ص178.

(4) أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص131.

(5) ايتوري روسي: طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا ، **المرجع السابق**، ص30.

(6) محمد العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي،(د،ط)، بيروت، 1986م، ص665.

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية للدولة العثمانية اواخر القرن 9هـ/15م بداية القرن 10هـ/16م

أولاً: توسعات الدولة العثمانية في المشرق

تجاورت في مطلع القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي ثلاثة دول كبرى في المشرق الإسلامي هي الدولة الصفوية في إيران، والدولة العثمانية في آسيا الصغرى، ثم دولة المماليك في مصر، والشام والحجاز[1].

1) الصراع مع الصفويين:

لقد أحدث السلطان سليم الأول[2]، تغييرًا جذريا في سياسة الدولة العثمانية، وذلك بتوجهه للمشرق الإسلامي[3]، لأنه أدرك أن هناك مخاطر هائلة يمكن أن تصيب الدولة العثمانية بسبب النشاط الشيعي في الأناضول[4].

فقرر الدخول في حرب ضد الدولة الصفوية، وأول ما قام به هو سجن وقتل حوالي أربعين ألفا من أتباع الشاه إسماعيل[5]، في الأناضول، ثم بادر لقتاله، بحيث التقى الجيشان في شرق الأناضول

---

(1) نايف عيد السهيل: **العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران (907-920هـ/1502-1514م)**، مركز البحوث والدراسات التاريخية، (د،ط)، القاهرة، 2009م، ص11.

(2) **سليم الأول:** هو ابن بايزيد الثاني، ظهر اسمه في التاريخ حينما عين أبوه أخاه الأكبر أحمد وليا للعهد، هذا ما أدى إلى نزاع بينهم انتهى هذا النزاع بخلع والده عام 1512م واستولوا على الحكم...للمزيد ينظر: مجهول: **الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان**، تح: هانس أرنست، دار إحياء الكتب العربية،(د،ط)،(د.م.ن)، 1962م، ص ص 08- 09.

(3) علي محمد محمد الصلابي: **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار التوزيع والنشر الإسلامي،(د،ط)، (د.م.ن)، 1421هـ/2001م، ص176.

(4) محمد أحمد الثقفي: زواج السلاطين العثمانيين من الأجنبيات وأثره في إضعاف الدولة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: يوسف علي رابع الثقفي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2011/2010م، ص14.

(5) **الشاه إسماعيل:** هو مؤسس الدولة الصفوية في إيران... للمزيد ينظر: موسى بن محمد آل هجاد الزهراني: **الدولة الصفوية الاثني عشرية، النشأة، والآثار، وعوامل الإنهيار**، دار الدراسات العلمية،(د،ط)، المملكة العربية السعودية، 2016م، ص12.

فأحرز سلم النصر في معركة جالديران 1514م[1]، أما الشاه إسماعيل فنجا بصعوبة كبيرة بعد أن أصيب ،وترك وحده[2].

ويعود سبب النصر في المعركة لكون القوات العثمانية تستخدم البنادق والمدفعية، أما القوات الصفوية فكانت تتألف من الفرسان التركمان الذين يستخدمون الأسلحة التقليدية، ولا يحملون أساليب الحرب الحديثة[3]، وعليه فقد أبعد هذا النصر بشكل مؤقت الخطر الذي كان يهدد الدولة العثمانية وجعل سليم يضم إلى ملكه ولايتي ديار بكر وكردستان، واحتل تبريز، ونقل آلافا من أبرز تجارها وحرفييها وعلمائها إلى الأستانة[4]، واعترف به الحكام المحليون وزعماء العشائر في السنتين 1516و 1517م[5].

2) الصراع مع المماليك:

عندما اطمأن السلطان سليم على الجهة الصفوية، توجه إلى الشام للقضاء على دولة المماليك مزيلا بذلك آخر عائق يحول بينه وبين زعامة العالم الإسلامي[6].

---

(1) خليل اينالجيك: **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، تر: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان 2002م، ص54.

(2) أحمد عبد الرحيم مصطفى: **أصول التاريخ العثماني**، دار الشروق، ط3، القاهرة، 2000م، ص80.

(3) إسماعيل أحمد ياغي: **العالم العربي في التاريخ الحديث**، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية 1418هـ/1997م، ص17.

(4) أحمد عبد الرحيم مصطفى: **المرجع السابق**، ص80.

(5) خليل اينالجيك: **المرجع السابق**، ص54.

(6) محمد دراج: **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512–1543م)**، شركة الأصالة للنشر، ط3، الجزائر، 2015، ص23.

في (25 رجب 922هـ، 24 أوت 1516م) تقابل الجيشان العثماني والمملوكي في مرج دابق ووقعت معركة شديدة بين الطرفين استمرت 8-9 ساعات انتصر فيها الجيش العثماني، وتفرق الجيش المملوكي[1]، استثمر السلطان سليمان هذا النصر وضم حلب، وحماه، وحمص، ودمشق، وكان السكان يرحبون به[2]، ومن الشام أرسل السلطان سليم إلى زعيم المماليك في مصر طومان باي يأمره بالالتزام بالطاعة للدولة العثمانية، فكان رد المماليك السخرية برسول السلطان ثم قتله، لذلك قرر الحرب وتحرك نحو مصر قاطعا صحراء فلسطين[3].

نشب القتال بين الطرفين في (28 ذي الحجة 922هـ/22 جانفي 1517م) فقتل سنان باشا، ولم يتمكن الجيش المملوكي من التغلب على العثمانيين، وذلك نظرًا لتفوقهم القتالي، وتحطيم مدفعية المماليك، فتراجع الجيش المملوكي[4]، هذا ما أدى إلى دخول العثمانيين القاهرة في (3 محرم 923هـ/ 28 جانفي 1517م) ودارت معركة شرسة بين القوتين، دامت ثلاثة أيام انتهت باستسلام المماليك في (5 محرم 923هـ/ 30 جانفي 1517م) [5]، وفر طومان باي نحو الشمال إلا أنه وقع في أسر السلطان العثماني[6]، وتم قتله في 13 فيفري 1517م[7].

---

(1) فاضل بيات: **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرًا مطلع العهد العثماني أواسط القرن التاسع عشر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007، ص129.

(2) محمد سهيل طقوش: **المرجع السابق**، ص168.

(3) علي محمد محمد الصلابي: **المرجع السابق**، ص187.

(4) محمد سهيل طقوش: **المرجع السابق**، ص171.

(5) رزيقة قرشي، حنان نعلامن: **السياسة الخارجية للدولة العثمانية خلال عهد السلطان سليم الاول (918-926هـ/1512-1520م)**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمود تركية، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ،2017/2016م، ص51.

(6) **نفسه**: ص52.

(7) محمد سهيل طقوش: **المرجع السابق**، ص171.

بعد مقتل طومان باي، قام شريف مكة أبي بركات الثاني[1] في 17 جويلية 1517 بإرسال مفاتيح الأماكن المقدسة إلى سليم، وأعلن الخضوع له، وبهذا اعترفت سوريا ومصر والحجاز بالسيادة العثمانية[2]، أما بالنسبة لليمن فبقيت السيطرة العثمانية عليها نسبية بسبب تمرد بعض القبائل[3].

بعدما تمكنت الدولة العثمانية من ضم المناطق العربية المشرقية وخاصة مكة والمدينة، أصبحت بذلك خلافة ولم تعد دولة حدودية وأخذ سلاطينها يلقبون بحماة العالم الإسلامي، فتدخل العثمانيون في سواحل المغرب الإسلامي باسم حماية الممتلكات الإسلامية[4].

ثانيًا: توسعات الدولة العثمانية في جنوب أوروبا 1521–1532م

يمثل عهد السلطان سليمان القانوني[5] رأس الهرم بالنسبة لقوة الدولة العثمانية ومكانتها بين دول العالم آنذاك، وهو العصر الذهبي للدولة العثمانية، حيث شهدت سنوات حكمه(926-972هـ/ 1520-1566م) توسعا عظيما لم يسبق له مثيل وأصبحت أقاليم الدولة منتشرة في ثلاثة قارات عالمية[6].

---

(1) **أبو البركات الثاني**: هو محمد أبي بركات الهاشمي تولى منصب أمير مكة عام 1497م إلى غاية 1525م. ينظر: رزيقة قرشي: حنان نعلان: **المرجع السابق**، ص54.

(2) خليل اينالجيك: **المرجع السابق**، ص55.

(3) علي محمد محمد الصلابي: **المرجع السابق**، ص 192.

(4) شوبان فيروز، عقاد تيزيري: **المرجع السابق**، ص59.

(5) **سليمان القانوني**: ولد في أول شعبان 900هـ/1495م، تولى الحكم في 4 شوال 927هـ/1521م اجتهد في نفي الزنادقة والمبتدعين في الدين، مآثره في الأعمال الخيرية لا تحصى كبناء المساجد والمدارس... للمزيد ينظر: إبراهيم بك حليم: **التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية**، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ط1، (د.م.ن)، 1323هـ/1905م، ص ص 85، 95.

(6) علي محمد محمد الصلابي: **المرجع السابق**، ص202.

1)فتح بلغراد 1521م:

خرج سليمان بحملته على بلغراد التي كانت مفتاح أوروبا الوسطى وأقوى قلعة للمجر في الحدود التركية[1]، بحيث دخل المدينة في 8 أوت 1521 والقلعة في 29 أوت 1521، وبقي في المدينة 19 يوم، وترك فيها 200 مدفع و3000 جندي وعاد إلى استانبول[2]، وإثر استيلاء السلطان على بلغراد أعلنت البندقية ولاءها له.

2) فتح جزيرة رودس 1522م:

بعدما فتح سليمان بلغراد توجه إلى جزيرة رودس عاصمة الأفلاق والقرم، بحيث كانت هذه الجزيرة حصنا حصينا لفرسان القديس يوحنا[3]، الذين كانوا يقطعون طريق حجاج الأتراك للحجاز، وكانت تقوم بأعمال عدوانية ضد المواصلات العثمانية هذا ما دفع السلطان للإهتمام بها[4]، وتم فتحها سنة 928هـ/ 1522م مستغلا انشغال أوروبا بقضاياها الخاصة والخلاف فيما بينها كي لا تساعد رهبان هذه الجزيرة، الذين انتقلوا إلى مالطا بعد أن تم فتح جزيرة رودس، وهكذا أصبحت شبه جزيرة القرم ولاية عثمانية[5].

---

(1) يلماز أوزتونا: **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: عدنان محمود سليمان، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م، مج1، ص261.

(2) محمد خير فلاحة: **الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد**، (د.د.ن)،(د،ط)، (د.م.ن)، 2005م، ص47.

(3) **فرسان القديس يوحنا:** نشأت هذه المنظمة أثناء الحروب الصليبية من شخص يدعى جيرارد (Girard)، هدفها خدمة المسيحيين ... للمزيد ينظر: جمال هاشم أحمد الذويب: **المرجع السابق** ، ص355.

(4) محمد خير فلاحة: **المرجع السابق** ، ص46.

(5) **نفسه**، ص47.

3) فتح المجر وحصار فينا الأول 1521م والثاني 1532م:

عزم ملك المجر فيلاديسلاف الثاني جاجليو(Vladislav II Gaglio) على فك أي تعهدات كانت قد أعطيت من قبل أسلافه لسلاطين الدولة العثمانية، وذهب إلى حد قتل مبعوث السلطان سليمان القانوني، ولذا رد سليمان في عام 1521م بغزو كبير ضد المجر واستمرت المعارك بين الطرفين[1].

ففي ربيع 1526م تحركت الجيوش العثمانية المكونة من 7 آلاف جندي و300 مدفعية بقيادة سليمان القانوني، لمقابلة 150 ألف جندي مكون من المتطوعين وقوات دعم من فرديناند وشارلكان[2]، ووصلت إلى سهل موهاكس[3] المليء بالمستنقعات وفي غضون ساعتين، تمكنت مدافع السلطان، وقوات أكثر قدرة على المناورة من إبادة سلاح الفرسان الثقيل المدرع بالحديد، وقتل الملك لويس الثاني[4] في المعركة[5] وهكذا سقطت المجر تحت الراية العثمانية في 29 أوت 1529، ودخل سليمان عاصمة بودا[6].

ورغم ذلك استمرت المقاومة الهنغارية، فتابع السلطان ضغطه حتى بلغت جيوشه أسوار فيينا في 1529م، ولكنه تراجع بسبب تحالف الدول الأوروبية ضده، رغم تراجعه إلا أن سليمان ظل في

---

(1) علي محمد محمد الصلابي :**المرجع السابق** ، 202.

(2) فتيحة العمري، مليكة شوانية: **التوسع العثماني في البلقان في عهد سليمان القانوني 1520–1566م**، مذكر لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، إشراف: عائشة حسيني، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، 2018/2017م، ص48.

(3) **سهل موهاكس**: يقع بالقرب من نهر الدانوب في المجر... للمزيد ينظر: سهيل صابان: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط3، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م، ص219.

(4) **لويس الثاني**: ولد في بودا سنة 1506م، تولى عرش المجر وبوهيميا سنة 1516م، قتل في معركة موهاكس ضد العثمانيين. ينظر: فتيحة العمري، مليكة شوانية: **المرجع نفسه**، ص35.

(5) رافع محمود: **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: بشر السباعي، دار الفكر، ط1، القاهرة، 1992م، ص220.

(6) فتيحة العمري، مليكة شوانية: **المرجع السابق**، ص49.

صراع مع القوى الأوروبية من أجل السيطرة على هذه المملكة[1]، فأعاد الكرة مرة أخرى في 25 أفريل 1532 فاستولى العثمانيون على القلاع في المجر الجنوبية، وهذا ما أدى إلى مفاوضات دبلوماسية تنص على دفع الجزية لسيلمان[2].

عرفت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني توسعًا هائلاً داخل القارة الأوروبية، حتى أن العثمانيين وصلوا إلى مشرق عاصمة النمسا ولكن لم يتسنى لهم فتحها 935هـ/1529م ووصلوا للجهة الغربية[3] من المتوسط حتى المغرب الأوسط، أين أسسوا الإيالة الجزائرية الحديثة سنة 926هـ/1520م لتكون القاعدة الرئيسية في إرساء الحكم العثماني بالمنطقة والتصدي للإسبان[4][5]

ثالثًا: الدولة العثمانية في شمال إفريقيا

1) دور الإخوة بربروس في الجهاد ضد الغزو الإسباني:

بدأ ظهور العثمانيين في الشمال الإفريقي في الوقت الذي اشتدت فيه الهجومات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي، واستفحلت عمليات القرصنة الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط[6]، ولم يستطع المغرب لوحده صد هذه الحملات الصليبية بسبب تمزقه وضعفه وعدم وجود سلطة مركزية[7]، هذا ما كان يتطلب قيادة صارمة لإعادة الوحدة واللحمة بين مكونات سكانه[8].

---

(1) علي محمد محمد الصلابي: **المرجع السابق**، ص202.

(2) رافع محمود: **المرجع السابق**، ص222.

(3) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص22.

(4) **نفسه**، ص23.

(5) ينظر الملحق رقم(3)،ص119.

(6) فيروز شوبان ، عقاد تزيري: **المرجع السابق**، ص59.

(7) Moulay Belhamissi : **Marine et marins d'Alger (1518-1830)**, Tome,I, bibliothèque nationale d'Algérie, Algérie, 1996,p35.

(8) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص106.

في هذه الأوضاع السيئة للمغرب الإسلامي ظهر الإخوة بربروس[1] رسميا ولأول مرة في تونس مطلع القرن السادس عشر ميلادي، ويعود ذلك إلى استيلاء الإخوة على سفينة كانت تحمل خمسمائة جندي، وقدموها إلى السلطان الحفصي أبو عبد الله الحسن الذي فرح بهذا الإنجاز حيث سلمهم جزيرة جربة التي أصبحت مستقرًا لهم[2]، ولم يمض وقت طويل حتى حصل الإخوة عروج وخير الدين على غنائم كثيرة وذاع صيتهما ووصلت أصداء شهرتهما لإسبانيا، لقد رأى عروج وخير الدين أن جزيرة جربة مكشوفة ولا توجد فيها قلعة للاحتماء بها عند الضرورة، لذلك قرر البحث عن مكان تتوفر فيه شروط الأمان[3]. فتوجها إلى سلطان تونس، وقدما إليه الكثير من الهدايا، وطلبا منه منحهما مكانًا يلجآن إليه، فوافق السلطان الحفصي على ذلك، مقابل دفعهما خمس الغنائم، وقد

---

(1) **الإخوة بربروس**: نشأ هؤلاء الإخوة في جزيرة (مدلي) من بحر الأرخبيل، من أب تركي يعقوب بن يوسف الذي تزوج من احدى بنات هذه الجزيرة فأنجبت له أربع أبناء: إسحاق وعروج وخضر وإلياس، اختار الابن الأكبر العلم والمعرفة، أما باقي الإخوة فاختاروا البحر ميدانا لهم، وقع عروج في الأسر لمدة سنتين وعندما تمكن من الفرار أكرمه كوركود ابن السلطان (بيازيد) بسفينة وبعثه غازيًا إلى إيطاليا فتمكن من جمع غنائم كثيرة ومن ثم توجه إلى البحر الأبيض المتوسط، فالتقى مع أخيه خضر، هذا الأخير اقترح عليه الأندلسون بتغيير اسمه إلى خير الدين، وأطلق عليهم النصارى اسم بربروس... للمزيد ينظر: بسام العسلي: المرجع السابق، ص ص 27، 28. وأيضا ينظر: خير الدين بربروس: **مذكرات**، تر: محمد دراج، شركة الأصالة، ط1، الجزائر، ص ص 21، 22.

(2) مخطاري عبد المؤمن: **الصراع العثماني الإسباني في الحوض الغربي للمتوسط خلال القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم شباب، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 1434هـ/2019م، ص36.

(3) فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص531.

منحهما مكانا في حلق الواد[1]، للإقامة فيه بشكل دائم فكان المكان مناسب لهما لممارسة أعمال القرصنة[2].

لما استقر عروج وخير الدين بحلق الواد، تعرفا على المأساة التي لحقت بالأندلسيين الفارين من الاضطهاد المسيحي[3]، فقاما بإنقاذ عشرين ألف موريسكي مما أكسبهما شهرة شعبية واسعة[4].

حقق الأخوان العديد من الانتصارات على القراصنة المسيحيين، الأمر الذي أثار إعجاب القوى الإسلامية الضعيفة في هذه المناطق[5]، لهذا استنجد بهما الحاكم الحفصي لبجاية من أجل طرد الإسبان[6].

أ- محاولة الاخوة بربروس تحرير بجاية

سنحاول التوسع بعض الشيء في محاولة عروج وخير الدين تحرير بجاية لأنها تدخل ضمن الحدود الحفصية.

---

(1) **حلق الواد**: استمدت اسمها من كونها لسانا بحريا يصل تونس بالبحر ، وتفصله مرتفعات عن قرطاج ..للمزيد ينظر : ج.آو .هابنسترايت : **رحلة العالم الألماني ج.هابنسترايت الى الجزئر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)**،تر: ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي،(د،ط)، تونس، (د.س.ن)، ص 114.

(2) عزيز سامح إلتر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، 1409هـ/1989م، ص42.

(3) عمار عمورة: **الموجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة، ط1، الجزائر، 2002م، ص88.

(4)Henri.D.De Grammant, **Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515-1830)**, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1887, p3.

(5) عيسى الحسن: **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، مكتبة الأهلية، ط1، الأردن، 2008، ص509.

(6) عمار عمورة: **المرجع السابق**، ص89.

لقد احتلت هذه المدينة سنة 916هـ/1510م، فتعرض أهلها إلى مذبحة شنيعة، هذا ما دفعهم للاتصال بالأخوين عروج وخير الدين، فكانت بجاية المحطة الأولى التي نزل بها جيش الأتراك العثمانيين بالجزائر لمحاربة النصارى وقد تكررت محاولة تحرير بجاية ثلاث مرات[1].

المحاولة الأولى: 1512م: اتجه الإخوة باتجاه بجاية فوجدا 15 باخرة حربية إسبانية ،ادعى أثنائها خير الدين الفرار أمام العدو وعندما لحقوا به استطاع عروج أن يغرق باخرة من بواخر العدو، وتمكن خير الدين من الاستيلاء على أخرى، وطلب هذا الأخير من عروج التراجع إلى الوراء[2]، ولكن عروج نزل مع 50 مقاتلا وبعض المدافع وعلى الفور باشر بقصف الاستحكامات الإسبانية، وبعد ثمان أيام من القصف فتح ثقب في جدار القلعة[3]، ولكن عروج أصيب بقذيفة في ذراعه الأيسر، وقتل ستين شهيد وعدد كبير من الجرحى[4]، هذا ما أدى للعودة إلى تونس[5].

المحاولة الثانية 1514: تمكن عروج وخير الدين من بناء خمسة مراكب بعد عامين من الهزيمة الاولى وكانا يفكران في إيجاد مركز يكون لهما السيادة فيه[6]، لذلك توجها إلى جيجل واستطاعا افتكاكها من الجنويين عام 1514م، فاتخذوا هذه المدينة قاعدة لهما بدلا من جربة وحلق الواد،

---

(1) محمد لعباسي: **أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918هـ/1512م إلى سنة 953هـ/1546م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: الجيلالي سلطاني، جامعة وهران، 2006/2005م، ص40.

(2) حورية خداس، فتيحة صحراوي: **تحرير وهران 1792م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، (د.م)، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2018/2017م، ص16.

(3) عزيز سامح إلتر: **المرجع السابق**، ص46.

(4) خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص52.

(5) **نفسه**: ص53.

(6) مبارك محمد الهلالي الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ج3، ص36.

لكونها أقرب إلى أماكن الصراع ضد القراصنة الإسبان، ثم إن سلطان تونس بدأ يضايقهما ففضلا الابتعاد عنه[1].

ففي شهر أوت سنة 920هـ/ 1514م، وبطلب من علماء بجاية قاما بالهجوم على بجاية لكنهما لم ينجحا في افتكاكها من الإسبان.

المحاولة الثالثة 1515م: استعانا هذه المرة بوحدات من الأسطول البحري، بالإضافة إلى الجيش البري وتمكنا من فرض حصار دام ثلاثة أشهر[2]، في هذه المدة فرغ البارود عن المسلمين فطلبوا الإعانة من سلطان تونس الذي رفض، خوفا على ملكه. وفي المقابل حصلت إسبانيا على إمدادات كافية لفك الحصار، فعاد خير الدين إلى حلق الواد، أما عروج فاستقر بجيجل[3]، وبعث إليه السلطان سليم الأول أربع عشرة باخرة مشحونة بالبحرين[4].

لم تكن بجاية لوحدها من استنجدت بالإخوة بربروس، بل استنجد بهم سكان مدينة الجزائر وتلمسان لتخليصهم من الخطر الإسباني المحدق بهم، وعندما نجح عروج وشقيقه خير الدين في قهر القوات الإسبانية، وإلحاق هزائم متوالية بهم، فتحالف ضدهم الحكام الضعفاء كـ: "سالم التومي"[5]

---

(1) يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500–1830**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص35.

(2) حورية خداس، فتيحة صحراوي: **المرجع السابق**، ص17.

(3) مبارك محمد الهلالي الميلي: **المرجع السابق** ،ج3، ص37.

(4) **نفسه**، ص38.

(5) **سالم التومي**: حكم الجزائر سنة 1510م، ينتمي إلى قبيلة الثعالبة فرع بني تومي...للمزيد ينظر: كورين شوفالييه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510–1541م**، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية،(د،ط)، الجزائر، 2007م، ص23.

الذي قام عروج بقتله سنة 1518م، وأعلن نفسه سيدا على الجزائر[1]، وبعدها توجه إلى حصن البنيون وقام بمهاجمته ولكن لم يتسنى له الاستلاء عليه، فتوجه إلى تلمسان من أجل إخضاع القبائل المتمردة[2]، فوقعت بينه وبين الإسبان معركة قوية أدت إلى مقتله سنة 1518م[3]، فحزوا رأسه وأخذوه معهم إلى إسبانيا وطافوا به في الشوارع[4].

2) تحالف الإخوة بربروس مع الدولة العثمانية

أول اتصال بين الإخوة بربروس والسلطان سليم الأول كان ببعث وفد إلى إستانبول يترأسه بيري رايس من أجل إخبار سليم أنهما يكملان مهمة كمال رئيس رغم أن ظروف المسلمين أصبحت أكثر خطورة، وبعث إليه 6 سفن محملة بالهدايا، فسّر السلطان بذلك وكافأهما بسفينتين مشحونتين بالسلاح والعتاد وهدايا أخرى[5].

أما الاتصال الثاني فتم عندما بويع خير الدين في مدينة الجزائر خلفا لأخيه عروج[6] الذي استشهد بالغرب الجزائري، هذا ما تسبب في سلسلة من الانتفاضات في جهات مختلفة ضد سلطة

---

(1) عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1997م، ص53.

(2) حنيفي هلايلي: **بابا عروج وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة**، ندوة علمية حول المجتمع والدولة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 28 أفريل 2016م، ص09.

(3) **نفسه**، ص10.

(4) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، دراسة مكتبة الحياة، ط2، بيروت، 1385هـ/1965م، مج2، ص222.

(5) محمد دراج: **المرجع السابق**، ص225.

(6) عمار بن خروف: **العلاقات بين الجزائر والمغرب (963-1069هـ/1517-1659م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: ليلى الصباغ، جامعة دمشق، 1403هـ/1983م، ص26.

الأتراك[1]، فاضطر خير الدين للبحث عن تحالف يعينه على الاستقرار والمقاومة ومواصلة الجهاد[2]، فقرر خير الذين الذهاب لإستانبول، ولغرض ذلك جمع أهل الجزائر من العلماء والصلحاء وأخبرهم برغبته في الذهاب لرؤية السلطان العثماني قصد طلب المساعدة، فرفض الأعيان ، وطلبوا منه ارسال وفد ينوب عنه[3].

بعد وصول الوفد المبعوث إلى السلطان سنة 1518م استقبلهم وقبل عرضهم وهكذا أصبحت الجزائر تابعة رسميا للباب العالي[4][5] وسارع السلطان سليم إلى منح رتبة بكلربك لخير الدين بربروس وأصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة وممثلا للسلطان وأصبح أي اعتداء على الجزائر يمثل اعتداء على الدولة العثمانية[6]، وأمده بحامية ومدفعية قوية وبعض قوات الانكشارية[7].

وهكذا صارت الدولة العثمانية في شمال إفريقيا قوة ضاربة وعظم شأنها حيث أصبح لها أسطول ضخم يجابه الأساطيل الأوروبية[8].

---

(1) عائشة جميل: **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520–1830م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: صحراوي عبد القادر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2018/2017م، ص40.

(2) عيسى حسن: **المرجع السابق**، ص510.

(3) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، تع: خير الدين سعيدي، أوراق ثقافية، ط1، الجزائر، 2007م، ص107.

(4) **الباب العالي**: اسم أُطلق على مقر الحكومة في عاصمة الدولة العثمانية (الأستانة). ينظر: عائشة جميل: **المرجع السابق**، ص49.

(5) **نفسه**، ص49.

(6) علي محمد محمد الصلابي:المرجع السابق،ص213.

(7) ناهد إبراهيم دسوقي: **المرجع السابق**، ص08.

(8) محمود السيد: **تاريخ إفريقيا القديم والحديث**، مؤسسة شباب الجامعة،(د،ط)، الإسكندرية، مصر، 2006، ص235.

من خلال ما سبق نستنتج :

- إن الزواج السياسي بين فرديناند وايزابيلا سنة 1469م أدى إلى توحيد إسبانيا وزيادة قوتها التي وجهتها ضد المسلمين سواء المتواجدين في إسبانيا أو في شمال إفريقيا.
- نتج عن سقوط غرناطة سنة 1492م هجرة العديد من الأندلسيين الى بلاد المغرب فعملت إسبانيا على ملاحقتهم، مما نشط عمليات القرصنة والجهاد البحري بين الطرفين.
- كان وراء الغزو الإسباني لسواحل المغرب العربي العديد من الدوافع أهمها نشر المسحية والقضاء على الاسلام والمسلمين.
- اعتبرت تونس عاصمة الدولة الحفصية إلا أنه في فترات الفتن والاضطرابات تعددت عواصمها فكانت بجاية وقسنطينة تشارك تونس هذه المهمة.
- مرت البلاد التونسية بفترات ازدهار وفترات ضعف، ففي فترات الضعف استطاع الإسبان احتلال بجاية وطرابلس ولكن فشلوا في احتلالهم لجربة.
- استطاعت الدولة العثمانية التوسع في المشرق العربي، وفي جنوب أوربا وبذلك اصبحت إمبراطورية مترامية الاطراف قادرة على مجابهة الإسبان والبرتغال .
- كان للإخوة بربروس دور كبير في توجيه أنظار الدولة العثمانية لشمال افريقيا .

الفصل الثاني

الصراع العثماني الإسباني على تونس

خلال النصف الأول من القرن السادس عشر

- المبحث الأول: إلحاق تونس بالدولة العثمانية 1534م.
- المبحث الثاني: حملة شارلكان على تونس 1535م.
- المبحث الثالث: استباحة الإسبان لتونس.

انحصر مسرح الصراع بين أقوى قوتين في الحوض المتوسط (الدولة العثمانية وإسبانيا) خلال النصف الأول من القرن السادس عشر على تونس، وذلك لأهميتها الكبيرة بالنسبة للطرفين، فتأرجحت كفة النصر بينهما، بحيث دخلها خير الدين سنة 1534م ليتمكن شارلكان بعد سنة من الاستيلاء عليها وجعلها محمية إسبانية.

فما هي الأحداث التي دارت بين الطرفين؟

المبحث الأول: إلحاق تونس بالدولة العثمانية

أولاً: أسباب توجه خير الدين إلى تونس

1/الانتقام من السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد: ذلك لأنه رفض إرسال البارود والمواد اللازمة له عندما كان محاصرًا بجاية (920هـ/1514م) [1]، كما تحالف مع الإسبان وأعلن تبعيته لهم متعهدًا بدفع مبلغ من المال وفرسين من جياد الخيل وأربعة من طيور البازي كجزية سنوية، ظنا منه أن ذلك يخفف من وطأة الإسبان أو يثني عزمهم على إلحاق تونس بالإسبان[2]، ولم يكتفي هذا السلطان بالاستعانة بالنصارى، بل حرض الأمراء المحليين ضد خير الدين ومن بين الذين استجابوا لتحريضه سلطان تلمسان[3] مولاي عبد الله الذي فر إلى وهران مستنجدًا بالإسبان عند وصول قوات خير الدين إليه[4]، كما استجابت بعض القبائل لتحريض سلطان تونس فأرسل إليها خير الدين قوة مكونة من ستة آلاف راجل وستة آلاف فارس، وقام بتأديبها وجعلها عبرة لغيرها[5].

---

(1) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص69.

(2) أحمد الشريف الأطرش السنوسي: **تاريخ الجزائر في خمسة قرون**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع،(د،ط)، الجزائر، 2013م، ص25.

(3) خير الدين بربروس : **المصدر السابق**، ص100.

(4) **نفسه**، ص102.

(5) **نفسه**، ص101.

كما قام سلطان تونس بتحريض ابن القاضي ووعده بجعله أميرًا على الجزائر بعد طرد الأتراك منها، فأجابه برسالة جاء فيها "يا عجبا[1] أي شيء فعله معك خير الدين من الشر حتى تكتب لي فيه بمثل ما كتبت فإني لا أقدر على الخيانة، ولا يساعدني قلبي على المكر به ... فأقطع طعمك مني، فإني لا أتابعك على ما تريد، ولا يحصل مني ندم إن شاء الله..."، ولكنه تمرد على خير الدين فيما بعد طمعًا في توسيع نفوذه[2].

هذه المؤامرات دفعت خير الدين لخوض حرب ضد سلطان تونس، فخرج إليه باثني عشر ألف من الرجال، فوقع السلطان الحفصي في الأسر ثم أطلق سراحه بعد تحذيره من تكرار فعلته هذه[3].

2/استنجاد الرشيد بخير الدين في سنة 1526م: توفي السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد فحل محله الحسن بن محمد[4] على العرش، فكان الحسن طاغية لم ينجو من بطشه سوى أخوه الرشيد الذي فر إلى أحد قادة القبائل العربية، يعرف باسم عبد الله، إلا أن هذا القائد لم يستطع مواجهة مدفعية السلطان ففر الرشيد إلى خير الدين مستنجدًا به[5]، وعندما وصل الرشيد إلى خير الدين استقبله أحسن استقبال، لأن له فائدة كبيرة بإلحاق تونس بالأراضي التي سيطر عليها في المغرب الأوسط[6].

---

(1) محمد دراج: **المرجع السابق**، ص366.

(2) **نفسه**، ص367.

(3) خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص110.

(4) **الحسن بن محمد:** هو ابن الحسن بن الحسن بن المسعود ابن المولى أبي عمرو عثمان، بويع بعد وفاة والده يوم الخميس 25 من ربيع الثاني سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة، في عهده اضطربت الدولة الحفصية...للمزيد ينظر: محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص157.

(5) صالح عبّاد: **المرجع السابق**، ص61.

(6) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص84.

اصطحب خير الدين الأمير الحفصي معه إلى الأستانة عام 1533م، واستطاع أن يقنع السلطان سليمان بضم تونس إلى ولاية الجزائر[1]، ومنح هذا الأخير لخير الدين لقب بايلارباي شمال إفريقيا، وزوده بتعليمات نهب كلابريا وصقلية ثم التوجه للاستيلاء على تونس، أما الرشيد فبقي في اسطنبول في مكان آمن[2]، وقيض له راتبا شهريا[3]، مع تأمين كافة احتياجاته من بيت الطعام[4].

3/الموقع الاستراتيجي: ركز خير الدين على تونس لأهمية موقعها الإستراتيجي وذلك لإشرافها على المضيق الصقلي، بحيث تسمح له السيطرة عليها بتهديد أو قطع المواصلات بين حوضي المتوسط الشرقي والغربي[5]، وجعل تونس أكثر اتصالا بالعالم العثماني من أي ولاية أخرى في شمال إفريقيا[6].

4/– ضعف الحفصيين: وذالك أن تونس كانت تعاني من ضعف بسبب الخلافات الداخلية التي تمزق الأسرة الحفصية، وكره السكان لسلطانهم الحسن بسبب طغيانه وفسقه[7].

5/– استنجاد بعض الأهالي بخير الدين: بحيثوا طلبوا الدعم منه سنة 1532م [8].

---

(1) نور الدين حاطوم: **تاريخ عصر النهضة الأوروبية**، دار الفكر،(د،ط)، دمشق، 1985م، ص469.

(2) جون ب. وولف: **الجزائر و أوروبا (1500–1830م)**، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة،(د،ط)، الجزائر، 2009م، ص46.

(3) حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تح: محمد حرب، تسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، (د.م.ن)، 2017م، ص105.

(4) لحسن قرود: **دور الجزائر في تدعيم الحكم العثماني في تونس خلال القرن السادس عشر ميلادي**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أرزقي شويتام، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2018/2017م، ص148.

(5) محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي**، (د.د.ن)، ط1، دمشق، 1969م، ص33.

(6) يسري الجوهري: **شمال إفريقية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط6، الإسكندرية، 1980م، ص142.

(7) محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص33.

(8) صالح عبّاد: **المرجع السابق**، ص62.

6/–تأمين الجهة الشرقية للجزائر: ولا يأتي ذلك إلا بالسيطرة على تونس وجعلها قاعدة متقدمة أخرى بعد الجزائر، لعمليات خير الدين ضد النصارى[1].

ثانيًا: حملة خير الدين على تونس (941هـ/1534م)

في عام 1533م عين السلطان العثماني سليمان القانوني خير الدين قائدًا للبحرية، فاهتم خير الدين بمسألة ضم تونس للدولة العثمانية تمهيدًا لبسط السيادة على كامل المغرب[2].

ولهذا الغرض أعد خير الدين جيشا مؤلفا من حوالي ألف وثمانمائة جندي إنكشاري وستة آلاف وخمسمائة من الألبانيين والأناضوليين واليونانيين، بالإضافة إلى ستمائة من الأعلاج، وانطلق من القسطنطينية سنة (946هـ/1534م) [3]باتجاه تونس[4]، وفي طريقه توقف عدة مرات بجنوب إيطاليا من أجل أخذ الغنائم والأرقاء والماء والخشب[5]، بحيث هاجم ريجو (Rigo) وضبط في مينائها ست سفن فأسرهم، وهدم القلعة الموجودة فيها، كما استولى على قلعة سانت أوسيدو (Sent usido) وأسر منها ثمانمائة شخص ثم أحرقها، ثم هاجم قلعة جيترارو (Gritaro) وأسر كافة من فيها بعد إحراقه لثمان عشرة سفينة مسيحية أمام قلعتها، ولم يكتفي خير الدين بذلك بل توجه إلى

---

(1) تومي طاهر: **المرجع السابق**، ص259.

(2) عبد الله مقلاتي: **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د،ط)،الجزائر، 2014م، ص20.

(3) جون. ب. وولف: **المرجع السابق**، ص46.

(4) آرجمنت كوران: **السياسة العثمانية اتجاه الإحتلال الفرنسي**، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية،(د،ط) تونس، 1970م، ص23.

(5) جون ب، وولف: **المرجع السابق**، ص46.

سواحل نابولي، فاستولى على قلعتها وأسر ما فيها، كما هاجم قلاع أسبرلونجا (Sperlongo) فخربها ودمرها بعدما أسر منها عشر آلاف شخص[1].

لقد كان غرض خير الدين من ضرب السواحل الأوروبية وتدميرها، نشر الرعب في نفوس الأوروبيين، وصرفًا لأنظارهم، لكي يتوجه إلى تونس[2].

وصلت الحملة إلى عنابة يوم 15 أوت 1534م من أجل التنسيق مع القوات القادمة من الجزائر تحت قيادة حسن آغا[3]، وتقدم إلى غاية قسنطينة، ثم قسم قواته جزء يسير نحو بنزرت[4] برًا والآخر نحو حلق الواد بحرًا[5]، فاستطاع الاستيلاء على مدينة تونس بسهولة بعد أن اغتنم الثورة التي نشبت فيها ضد حاكمها الحسن الحفصي حليف الإسبان[6].

فتحت تونس أبوابها لخير الدين وتقبله أهلها على الرحب والسعة[7]، ظنا منهم أنه أحضر معه الرشيد لينصبه على العرش، لكن خير الدين كان ينوي إلحاق تونس بالخلافة العثمانية مباشرة[1]، هذا ما

---

(1) عزيز سامح إلتر: **المرجع السابق**، ص110.

(2) عزيز سامح إلتر : **المرجع السابق**، ص111.

(3) **حسن آغا:** ولد في سردينية واسر وهو طفل، وخلال إحدى هجمات القراصنة الجزائريين على الجزيرة أخذ مع الغنائم، وكان من نصيب خير الدين، فأحسن تربيته وكلفه بالقيادة العسكرية لما تميز به من شجاعة. ينظر: محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص35.

(4) **بَنْزَرْتْ:** مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، على بعد نحو خمسة وثلاثين ميلاً من تونس...للمزيد ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **المصدر السابق**، ج2، ص68.

(5) صالح كليل: **المرجع السابق**، ص138.

(6) إبراهيم خليل أحمد: **تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (1516–1916م)**، مكتبة زيد للكتب الإلكتروني،(د،ط)، الموصل، (د.س.ن)، ص50.

(7) أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص230.

أدى إلى معارضة بعض أعيان تونس لإلحاق بلادهم بالسلطة العثمانية، مطالبين بإعادة الرشيد إلى السلطة إلا أن خير الدين صمم على إنهاء سلطة الحفصيين وتوطيد سلطته بالبلاد، أما الحسن بمجرد دخول خير الدين إلى تونس فر إلى البادية[2].

عندما علم التونسيون أن الرشيد لم يأتي، أرسلوا خبرًا بالسر إلى مولاي حسن، يطلبون منه العودة إلى تونس، وبدأوا يهيئون أنفسهم لمساعدته لاستلام الحكم ثانية، وفعلاً تشجع مولاي الحسن وجمع قواته واتجه إلى مهاجمة تونس[3]، فوقعت معركة كبيرة بينهما كان من نتائجها مقتل 3000 تونسي و600 جريح، أما الخسائر في قوات خير الدين فكانت أقل بكثير من ذلك[4]، واستطاع خير الدين القضاء على رؤساء الفتنة، فخضع له أهل تونس، أما الحسن فقد فر منهزمًا[5] إلى القيروان[6]، حيث جمع حوالي خمسة عشر ألف جندي وما إن سمع به خير الدين حتى جمع بدوره خمس عشر ألف جندي، مزودين بالمدفعية ونقلها باتجاه مولاي الحسن[7]، حيث التقى الطرفان في الصحراء، وجرت بينهما معارك طاحنة، كانت فيها الغلبة للعثمانيين بفضل مدافعهم المتطورة، فيما فضل مولاي الحسن الفرار من أرض المعركة، لأنه لم يكن لقواته سابق عهد بحروب المدفعية[8].

---

(1) الشافعي درويش: (الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535م)، في **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة غرداية، ع30 ، سبتمبر 2017م، ص05.

(2) عبد الله مقلاتي: **المرجع السابق**، ص20.

(3) عزيز سامح إلتر: **المرجع السابق**، ص113.

(4) Alphonse Rousseau : **Annales Tunisiennes ou aperçu sur la régence de Tunis**, édition Bouslama, Tunis, 1980, P17.

(5) حاجي خليفة: **المرجع السابق**، ص106.

(6) **القيروان:** مدينة قديمة بناها عقبة قائد جيوش الجزيرة العربية، تبعد بستة وثلاثين ميلا من البحر الأبيض المتوسط، ونحو مائة ميل من تونس... للمزيد ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **المصدر السابق**، ج2، ص87.

(7) الشافعي درويش: (الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535م)، **المرجع السابق**، ص05.

(8) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص265.

اتجه مولاي الحسن إلى إقليم قسنطينة وخلال الفترة التي أقامها هناك وثق الصداقة مع علج من أصل جنوي يدعى اكزيميا(Eczémie)، فنصحه بالاستنجاد بالإمبراطور شارل الخامس مستصرخا إياه العون والمساعدة مقابل الدخول تحت طاعته[1]، وبذلك دخل الحسن الحفصي تحت الحماية الإسبانية للنجاة بنفسه[2].

أما التونسيون فقد أعلنوا ولاء الطاعة للسلطان العثماني سليمان القانوني وخضعت تونس إلى جانب الجزائر للخلافة العثمانية، وصار ذلك يشكل خطرا كبيرا على الوجود الإسباني في شمال إفريقيا[3][4].

---

[1] البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص86.

[2] أندريه ريمون: **المدن العربية الكبرى في العصر العثمانية**، تر: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1991م، ص21.

[3] الشافعي درويش: (الحملة الاسبانية على تونس سنة 1535م)، **المرجع السابق**، ص05.

[4] ينظر الملحق (04)،ص 120.

المبحث الثاني: حملة شارلكان على تونس (942هـ/1535م)

أولاً: أسباب توجه شارلكان إلى تونس

- استنجاد مولاي الحسن بالإسبان: بحيث لعب دورًا في تحريض الإسبان على القيام بهذه الحملة، رغبة منه في استعادة ملكه من العثمانيين، فوجد شارلكان هذا الطلب فرصة لاحتلال تونس وجعلها قاعدة متقدمة ضد العثمانيين[1].
- التجسس الإسباني: بعث شارلكان في سنة 1533م جاسوسا وهو الضابط أوشوا دارسلا (Ochoa d'Ericilla) [2]، فطاف أنحاء تونس هناك اكتشف استعدادات الحفصيين للتعاون مع الإسبان[3]، ومدى خطورة الامتداد العثماني على تونس، كما اقترح خطة على شارلكان بقصد احتلال تونس وأخبره أن التآمر على تونس أسهل من الجزائر وأكد أن احتلال تونس سيسهل على ملك إسبانيا احتلال إفريقيا ويجب البدء باحتلال جزيرة جربة كما اقترح في الحملة على تونس مشاركة 6000 رجل و20 أو 24 مركبًا، مع 10 أو 12 سفينة نقل، أخذت هذه المذكرة مأخذ الجد ودرست بعناية من طرف الملك وحاشيته، وبعثت نسخة منها بأمر من شارلكان إلى الأمير أندري دوريا (Andrie Doria)[4] [5].

---

(1) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص266.

(2) **أوشوا دارسلا**: قائد إسباني كان سجينا في تونس، أطلق الحسن الحفصي سراحه سنة 1533م... للمزيد ينظر:
Haedo: **Op.cit**, P57.

(3) صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب الأقصى**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، مصر، 1993م، ص21.

(4) **أندري دوريا**: ولد بجنوة سنة 1468م، انضم إلى فرسان القديس يوحنا وبعدما تحررت جنوة من السيطرة الفرنسية جهز ثماني بوارج بوسائله الخاصة لمهاجمة السفن العثمانية وبعد ذلك دخل في خدمة فرانسوا الأول، وبعد معركة بافيا 1525م تخلى عنه فدخل في خدمة شارلكان سنة 1528م. ينظر: رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص75.

(5) لحسن قرود: **المرجع السابق**، ص155.

- دعم فرسان مالطا وتأمين الحماية لهم: عندما سلم شارلكان طرابلس الغرب لفرسان مالطا سنة 1530م، تعهد لهم بالحماية والدعم اللازمين، ولذلك وبمجرد سيطرة خير الدين على تونس أدرك فرسان مالطا الخطر الحفصي الحقيقي الذي يمثله الوجود العثماني بجوارهم فسارعوا للاستنجاد بالبابا شارلكان، وطلبوا من هذا الأخير الوفاء بتعهداته اتجاههم لأنه حامي المسيحيين، فحاول جاهدا تأمين الحماية اللازمة لهم، وتقديم المساعدة لهم، وعدم تركهم في مواجهة مصيرهم لوحدهم وقطع الطريق أمام خير الدين إذا فكر في حصار طرابلس[1].
- اعتبر شارلكان نفسه الحامي للعقيدة المسيحية، وجعل من توحيد المسيحيين لمحاربة المسلمين قضية كبرى[2].
- الأهمية العسكرية لموقع إقليم تونس في السيطرة على الملاحة في حوض البحر الأبيض المتوسط[3].
- وضع حد لغارات مجاهدي البحر العثمانيين والأندلسيين على السواحل الإيطالية والإسبانية، وقد وجد الإمبراطور شارلكان في هجمات خير الدين على سواحل إيطاليا الجنوبية واستيلائه على مرسى بنزرت، ودخوله مدينة تونس تحديًا يتوجب الرد عليه[4].

---

(1) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص268.

(2) زهراء النظام: (**العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط في العثمانية والعالم المتوسطي مقاربات جديدة**)، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 109، منشورات كلية الأدب، الرباط، 2003م، ص68.

(3) عبد العزيز محمد الشناوي: **الدولة العثمانية دولة الإسلام مفترى عليها**، مكتبة الأنجلو المصرية،(د،ط)، القاهرة، 2004م، ج2، ص191.

(4) ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية، الجزائر، تونس، طرابلس الغرب**، البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2014م، ص22.

- موقع تونس الإستراتيجي: فموانئها تتحكم في مواصلات البحر الأبيض المتوسط، وتتوسط تونس بين الجزائر وطرابلس، وقربها من إيطاليا، ومجاورتها لجزيرة مالطا[1].
- اضطراب الأوضاع الداخلية لتونس: بعد سيطرة خير الدين على تونس لم تستقر الأوضاع الداخلية لها، وواجهته عدة مشاكل وتمردات منها:
- ممارسات بعض جنود الإنكشارية، ولد حقد وتنافر بين الأتراك العثمانيين والتونسيين.
- إحساس سكان تونس بخيانة خير الدين لهم، بعد تركه للرشيد باسطمبول.
- ولاء التونسيين للأسرة الحفصية لأنها أسرة محلية، فيما كان العثمانيون غرباء عن المنطقة.
- إدخال خير الدين تنظيمات وقوانين جديدة عن المجتمع التونسي، كان لها تأثيرات سلبية على العلاقات بين الطرفين[2].

وما شجع شارلكان على القيام بحملة على تونس هو الوعد الذي منحه ملك فرنسا فرانسوا الأول (François I) [3] حليف الدولة العثمانية لشارلكان بالتزام الحياد وعدم التدخل في صراعه مع الدولة العثمانية[4].

---

(1) عبد المنعم الجميعي: **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي للطبع والنشر،(د،ط)، مصر، 2006م، ص53.

(2) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص268.

(3) **فرانسوا الأول**: (1494-1547م) ملك فرنسا (1515-1547م) أحدث تغييرًا جذريًا في بنية بلاده الإقتصادية والإجتماعية، أمضى الفترة الأكبر من حكمه في محاولة الاستيلاء على إيطاليا، ومناوئة الإمبراطور شارلكان... للمزيد ينظر: منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1992م، ص317.

(4) إلهام يوسف، ولاء علي صقر: (**الصراع الإسباني العثماني على تونس (941-982هـ/1534-1574م)**)، في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، سلسلة الأدب والعلوم الإنسانية ،(د، م، ن)، ع 5 ، 2018/11/22م، ص407.

ثانيًا: الاستعدادات للحملة

1- الاستعدادات الإسبانية:

لما وصل للإمبراطور شارلكان خبر سقوط تونس اتحد مع رهبنة القديس حنا الأورشليمي (Hanna Al-Urshlimi) من أجل استرجاع تونس[1]، وقرر أن يخرج بنفسه إلى هذه الحملة مع التحضير لها بشكل سري[2]، وأمر بإعداد سفنه الموجودة في موانئ إسبانيا وجنوه ونابولي وصقلية، وأن تعد مع سفن الحرب سفن أخرى لنقل الأكل والذخائر وغيرها من لوازم الحرب، وكتب الإمبراطور شارلكان إلى الدون يان (Don yan) ملك إسبانيا بأن يبعث إليه غليونه وكذا عددا من قطع أسطوله الحربي[3].

كانت قوات الأرمادة المسيحية الإسبانية ضخمة، لأن شارلكان أرادها حملة صليبية حقيقية تكونت [4] من الإسبانيين والإيطاليين والألمانيين والهولنديين والنابوليين والصقليين بالإضافة إلى فرسان القديس يوحنا في جزيرة مالطا، فنزلت أولا القوات الألمانية ثم تلتها القوات الإسبانية ومن بعدها الإيطالية إلى البر، ويضم الأسطول قرابة 400 سفينة من مختلف الأنواع والأحجام، بما في ذلك 90 سفينة مماثلة على متنها 26000 من جنود المشاة وقرابة ألفي فارس، ومنهم من قال 30000 مقاتل على ظهر 500 سفينة، كما كان على رأس تلك القوات أبناء العائلات الإسبانية والإيطالية النبيلة، أما القيادة العامة فتولاها شارلكان شخصيا، وفيما يلي بيان بالتفصيل لقوات هذه الحملة[5].

---

(1) محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1401هـ/1981م، ص232.

(2) كربخال مارمول: **إفريقيا**، تر: محمد حاجي، محمد الأخضر وآخرون ،دار نشر المعرفة، الرباط،(د،س،ن)،ج3 ، ص32.

(3) **نفسه**، ص33.

(4) الشافعي درويش: (**الحملة الإسبانية على تونس 1535م**)، المرجع السابق، ص06.

(5) لحسن قرود: **المرجع السابق**، ص159.

أ) القوات البحرية مكونة من عدة فرق:

- الفرقة الإسبانية والفلاندر: تتكون من 54 سفينة غالير، و70 سفينة كبيرة إبريقية، وضعت تحت قيادة أندري دوريا.
- الفرقة البرتغالية: تتكون من 27 سفينة تحت قيادة أنطونيون سالدانا (Antoine de Saldanha).
- الفرقة الإيطالية المالطية: تتكون من 36 سفينة حربية (غالير)، و28 سفينة ضخمة تحت قيادة ألفار بازان (Alvar Bazan) [1].

ب)الجيش البري المحمول:

المشاة وتتكون من:

- قوات إسبانية، (القوات القديمة التي خاضت حرب إيطاليا): أربعة آلاف رجل، تحت قيادة الجنرال المركيز جوازان (Marquis de Guast) .
- قوات إسبانية (المجندون الجدد) ثمانية آلاف رجل، تحت قيادة دوق الألب فرديناند الطلطلي (Ferdinand de Tolède).
- قوات ألمانية سبعة آلاف رجل، تحت قيادة مكسيمليان بيدرا بونيا (Maximilien Piedra Buena).
- قوات إيطالية: ألفان من الرجال، تحت قيادة الفتى لويس البرتغالي.
- **سلاح الفرسان:** يتكون من متطوعين من النبلاء ينتمون إلى مختلف الأمم النصرانية: ألف رجل، تحت قيادة الماركيز دي موندیجار(Marquis de Mondejar) [2].

---

[1] الشافعي درويش: (**الحملة الإسبانية على تونس 1535م**)، المرجع السابق، ص06.

[2] **الماركيز دي موندیجار**: الحاكم العام لمدينة غرناطة، كلفه شارلكان بقيادة أسطول لاحتلال عنابة... للمزيد ينظر: لحسن قرود: **المرجع السابق**،165.

- سلاح فرسان إسباني: خمسمائة رجل، تحت قيادة القائد السابق نفسه[1].

2- الاستعدادات الإسلامية:

اختلفت الروايات التاريخية حول استعدادات خير الدين لمواجهة حملة شارلكان، فذكر مارمول أن خير الدين علم باستعدادات شارلكان لكنه لم يتأكد منها بصفة تامة إلا عندما حل بحلق الوادي راهب فلورانسي [2] فأخبر خير الدين بجميع استعدادات الحملة مؤكدًا له أن الإمبراطور شارلكان سيشارك في الحملة بنفسه، هذا ما دفع خير الدين للاستنجاد بالسلطان سليمان والباشوات، ولكن سليمان في ذلك الوقت كان مشغولاً بالحروب في آسيا، أما باشوات القسطنطينية لم يكن عندهم من الوسائل ما ينجدون به بربروس حتى ولو رغبوا في ذلك[3].

أما نيقولا ايفانوف: يذكر أنه فور وصول أنباء الاستعدادات الإسبانية حتى شرع خير الدين بتحصين المدينة، فقد زود حلق الواد بالمدافع، والبرزخ الذي تمر عبره الطريق إلى العاصمة أقفله بحاجز من الصخور والأعمدة الخشبية المدعمة بأكياس الرمال، وحفرت الخنادق، ووضعت اثنتا عشر من أفضل السفن الحربية على رصيف حلق الواد، وجمع مئات من المدافع، وفي المساجد ألقيت المواعظ والخطب لرفع المعنويات القتالية بين الأهالي والمجاهدين، وقام بتصفية 12 ألف من العبيد المسيحيين الموجودين بتونس[4]. أما المصادر الإسلامية فقد ذكر ابن أبي ضياف: أن خير الدين لم يهتم بالاستعدادات الإسبانية قائلا: "ولما بلغ خبر ذلك لخير الدين الذي بالحاضرة، احتقر عدوه وأضاع

---

(1) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص89.

(2) بعث الراهب الفلورانسي من ملك فرنسا إلى خير الدين في شأن بعض أغراضه. ينظر: مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص33.

(3) **نفسه**، ص33.

(4) نيقولاي إيفانوف: **الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)**، تع: يوسف عطا الله، دار الفارابي، ط2، بيروت، لبنان، 2004م، ص231.

العزم، واعتمادًا على علو كعبه وشيوع صيته، فجاءه أهل الحاضرة وطلبوا منه أن يحضر أسطوله لدفاع الصبنيول قبل نزوله إلى البر، فلم يضع لهم، وغالب ما يأتي على الشجعان من هذا الباب"[1].

أما المجهول في كتابة غزوات عروج وخير الدين يذكر: أن خير الدين لم يعلم بأمر الحملة إلا عندما بدأ إنزال القوات الإسبانية بحلق الوادي فتأكد الأهالي منها، وبعثوا بمرسول لخير الدين يعلمونه بوصول النصارى[2].

ومما سبق أرى أن خير الدين كان على علم بالحملة الإسبانية على تونس، واستشهد في ذلك بقوله خير الدين "...علمت بأنه سوف يتوجه إلى تونس لإخراجنا منها ولأجل ذلك شرعت على الفور في الاستعدادات للتصدي له"[3].

رغم الاستعدادات التي قام بها خير الدين إلا أنه لم يتمكن من جمع إلا 7.000 من الأتراك، ونحو 5.000 من أهال تونس المؤيدين له، وهذا ما يبين لنا عدم تكافؤ القوة بين قوات شارلكان وقوات خير الدين[4]، إلا أن هذا الأخير أراد أن يقيس نفسه بأكبر ملوك المسيح، ويمشي بشجاعة لمقابلته وقتله[5].

---

(1) أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدار التونسية للنشر،(د،ط)، الجزائر، تونس، 1974م، ج2، ص13.

(2) مجهول: **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتع: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية،(د،ط)، الجزائر، 1353هـ/1934م،، ص95.

(3) خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص172.

(4) محمد دراج: **المرجع السابق**، ص315.

(5) Léon Galibert : **L'Algérie ancienne et moderne**, Paris, 1844, P178.

ثالثًا: انطلاق الحملة ومجرياتها

1- انطلاق الحملة:

انطلقت الحملة من مدينة برشلونة[1] في 31 ماي 1535م بقيادة شارلكان الذي كان يرافقه أندري دوريا بصحبة نخبة من أشراف إسبانيا باسطنبول بلغ عددهم مائتي سفينة حربية و25 ألف جندي من المشاة و600 من الفرسان[2].

وصل هذا الأسطول إلى قرطاجة وسواحل مدينة تونس يوم 16 جوان 1535 فوقعت بينهم وبين أعراب المنطقة بعض المناوشات في الليل[3].

ظلت قوات شارلكان شهرا كاملا تحاصر حلق الواد والتحصينات المحيطة به، في المقابل نجد أن العثمانيين كانوا بقيادة سنان رئيس[4]، يقومون بهجماتهم ليلا نهارًا، فاقتحموا خنادق العدو مرات عديدة، لكنهم كانوا يتراجعون تحت ضغط نيران السفن الإسبانية[5]، كما حاولت حامية حلق الوادي احتلال المعقل الذي أقامه الإسبان مرتين، ففي المرة الثانية التي جرت في 23 جوان 1535م تمكنوا من طرد قوات المشاة الإيطالية، وقتل قائدها ساردينو (Sardino)، وخلال هجوم آخر تم في

---

(1) **برشلونة:** تقع في شمال شرقي شبه جزيرة إسبانيا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. ينظر: إلهام يوسف، ولاء الصقر: **المرجع السابق**، ص408.

(2) سعيد أحمد برجاوي: **الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**، الأهلية للنشر والتوزيع،(د،ط)، بيروت، 1993م، ص116.

(3) **قرطاج:** مدينة عتيقة، اختلف المؤرخون في مؤسسي المدينة فمنهم رأى أن مؤسسها قوم جاءوا من الشام... للمزيد ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **المصدر السابق**، ج2، ص68.

(4) **سنان رئيس:** أصله من إيطاليا، وكان نصرانيا واسمه (سيبون سيكالا)، وقع في أسر الأتراك فأسلم وحسن إسلامه، تقلد سنان باشا العديد من المناصب في الدولة العثمانية... للمزيد ينظر: رابحه محمد خضير عيسى: **المرجع السابق**، ص352.

(5) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص231.

25 جوان تمكنوا من القضاء على خمسة وعشرين جندي وعدد من الضباط، كما أُصيب خلاله الماركيز دي موندیجار بجراح بليغة[1].

هذا ما دفع شارلكان إلى طلب الإمدادات التي وصلت إليه سريعًا، فنصب تجاه حصن حلق الوادي مائة وعشرين مدفعًا، ومن البحر ثمانين، وأخذ في قتال المسلمين ثم تقدم إلى البرج بحملة مدفعية، هذا ما عطل على المسلمين مدافعهم ففروا إلى مدينة تونس[2]، أما النصارى فاستطاعوا الدخول إلى حلق الوادي يوم 14 جويلية 1535، واستولوا على سبع وثمانين سفينة، وثلاثمائة مدفع، وعندما علم الحسن الحفصي بنبأ إنزال قوات شارلكان في حلق الوادي، انضم إليهم وليس بمعيته سوى مائة وخمسين فارسًا، بدل ما كان قد وعد به شارلكان من قوات عديدة[3].

بعدما استطاع شارلكان الاستيلاء على حلق الوادي توجه بقواته إلى مدينة تونس يوم 17 جويلية 1535 وكان في طريقه يقطع أشجار الزيتون ويحرق القرى، فعندما علم خير الدين بذلك خرج لقتاله[4] على رأس الفصائل التونسية المسلحة والقوات العثمانية والتعزيزات التي وصلت إليه من الجزائر، بحيث كان عددهم ستة عشر ألفا ومائة رجل[5].

---

(1) عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: جمال قنان، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001/2000م، ص152.

(2) مجهول: غزوات عروج وخير الدين، **المصدر السابق**، ص69.

(3) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص89.

(4) عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر**، المرجع السابق، ص152.

(5) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص232.

التقى الجمعان بخربة الكلخ شرقي مدينة تونس وانتشب القتال بينهم، فكانت مقتلة عظيمة[1]، تأرجحت كفة النصر عدة مرات بين الطرفين، وفي النهاية انتصر الإسبان بسبب تدخل البربر[2] الذين أحدثوا بلبلة في صفوف المقاتلين التونسيين، والتفاف القوات الإسبانية حولهم من جهة المدينة[3]، بالإضافة إلى أن جعفر آغا أطلق سراح الأسرى الأوروبيين بالمدينة، فاستولوا على القصبة وأغلقوا أبواب المدينة، ثم قاموا بإطلاق المدافع على المسلمين، وإزاء ذلك قرر خير الدين التخلي عن الهجوم والانسحاب ليلا إلى بون (عنابة) [4]، وفي طريقه اعترضه الأعراب فكانت بينهم حرب شديدة تغلب فيها خير الدين عليهم وواصل طريقه إلى عنابة[5]، الذي كان قد ترك فيها خمسة عشر سفينة، فلما علم شارلكان بذلك وجه إليه ثلاثين سفينة بقيادة أندري دوريا، بغرض الاستيلاء على عنابة فرماهم خير الدين بطلقات المدافع هذا ما دفع النصارى للعودة إلى تونس[6].

وعلى إثر هذا النصر قامت البابوية في روما باحتفالات كبرى لوقوع تونس في يد العاهل المسيحي[7].

---

(1) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص154.

(2) خلال إحدى هجمات العثمانيين اندس آلاف البدو بين صفوفهم بشكل مفاجئ، في حين كانوا قبل ذلك يقفون جانبا يراقبون سير القتال دون أن يتدخلوا فيه، وأثناء هجوم العثمانيين ظنوا أن خير الدين على وشك إحراز النصر فقرروا دعم جهوده، ولكن ذلك الدعم انعكس سلبًا على خير الدين. ينظر: نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص233.

(3) **نفسه**، ص233.

(4) Mercier Ernest :**Op. Cit** , T3, P38.

وينظر أيضًا: فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص578.

(5) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص154.

(6) مجهول: **غزوات عروج وخير الدين**، المصدر السابق، ص98.

(7) أحمد سالم: **استراتيجية الفتح العثماني**، مؤسسة شباب الجامعة،(د،ط)، الإسكندرية، 2012م، ص223.

أما خير الدين بعدما قام بإصلاح بعض السفن أبحر من ميناء عنابة[1] إلى جزيرة مايورقة الإسبانية فاستولى على جزيرة ماهون (Mahon) فخربها على آخرها، واستولى على 6000 أسير عاد بهم إلى الجزائر[2].

استدعي خير الدين من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني في أكتوبر 1535م ليشغل منصبا رفيعا في البحرية، وحل محله في الجزائر حسن آغا[3].

(1) نجيب دكاني: **المرجع السابق**، ص82.

(2) **نفسه**، ص83.

(3) Moulay Belhamissi: **Marine et Marin D'Alger (1518-1830)**, 3T, Bibliothèque nationale d'Algérie, Alger, 1996, T1, P140.

المبحث الثالث: استباحة تونس للإسبان

أولاً: دخول الإسبان لتونس

في 21 جويلية 1535م دخل الحسن الحفصي تونس رفقة الجيش الإسباني، ثم توجه إلى قصبة المدينة ونادى في الناس بالأمان[1]، فصدقه عامة الناس وفي هذا الصدد يذكر الوزير السراج "كان الناس اطمأنت وانفتحت الأسواق ولزم كل صانع صنعته فبينما المسلمون في هذه الغفلة إذ دهمهم العدو فجأة ودفعت النصارى دفعة والأسواق منفتحة فنهبوها سبيا وقتلا، وفر المسلمون بعيالاتهم إلى ناحية زغوان..." [2].

ويعود ذلك أن الحسن الحفصي دخل تحت حماية الإسبان، واتفق سرا مع شارلكان على إباحة مدينة تونس لهم لمدة ثلاثة أيام[3]، في ذلك الحين أمر شارلكان جيوشه بنهب المدينة، فاستباحوها بالقتل والأسر والسلب حتى قيل أن عدد سكان تونس كان مائة وثمانين ألف قتيل منه الثلث وأسر الثلث ونجا الثلث[4]، وراحت كل مدخرات تونس وخيراتها ونفائسها وأموالها ضحية الغدر والخيانة والنهب والسلب والقتل الذريع[5]، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بهدم المساجد، وحرق الكتب النفيسة[6]، التي كانت موجودة بجامع الزيتونة وبيعت بأرخص الأثمان ومزق أغلبها، فأحاطت الأوراق جميع أنحاء جامع الزيتونة حتى أن المرء لا تكاد تقع قدمه على غير الكتب[7] .

---

(1) أحمد ابن أبي ضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص14.

(2) محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تح: محمد الحبيب هيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1985م، ج2، ص205.

(3) محمد دراج: **المرجع السابق**، ص318.

(4) حسن حسني عبد الوهاب: **المرجع السابق**، ص126.

(5) أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص233.

(6) عدنان العطار: **الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط**، دار الأصالة، ط1، الجزائر، 2006م، ص65.

(7) محمد بن خوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح: حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1986م، ص298.

أما البدو فقد لعبوا دورًا في منتهى الحقارة والخسة، ذلك أنهم هاجموا ولاحقوا الأهالي التونسيين الذين تمكنوا من النجاة من المذبحة وتسللوا فرادى أو عائلات إلى زغوان، وفي الطريق كان البدو يكمنون لهم ويصطادونهم ويطالبونهم بدفع مبلغ ضخم من المال لافتداء[1] أنفسهم يقارب ألف دينار، ومن لا يستطيع دفع هذا المبلغ اللامعقول كان يسلم للإسبان، فيحصل البدو على مكافأة لقاء ذلك[2].

سميت هذه الأحداث بواقعة الأربعاء التي وقعت في الحادي والعشرين من جويلية (1535م/941هـ) [3].

لما رأى ملك تونس ذلك العبث والفساد توسل إلى الإمبراطور شارلكان بقصد الكف عن هذه الأعمال، والاكتفاء بالغنائم وأسر الرجال دون قتلهم، وقد صدر الأمر بتنفيذ ذلك، ولم يمت من النصارى على يد المسلمين سوى عدد قليل ولكن عددًا منهم مات أثناء التنازع فيما بينهم على الغنائم، وقتل عدد من النصارى الذين تمردوا في الحصن على يد إخوانهم في الدين بهدف انتزاع ما كان معهم من الثروات[4].

بعد أن أخضع شارلكان تونس لنفوذه سنة 1535م أمر بتشييد حصن منيع عظيم بحلق الواد[5]، ولهذا الغرض أرسلت طلبية إلى صقلية لاستيراد المواد اللازمة للبناء[6] وأمر بوضع أربعة

---

(1) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص235.

(2) **نفسه**، ص236.

(3) محمد العروسي المطوي: **المرجع السابق**، ص703.

(4) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص54.

(5) محمد الهادي الشريف: **المرجع السابق**، ص65.

(6) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص96.

آلاف من جنوده، ومن وجدوا في الحصن من تونسيين اتهم أكثرهم بأنهم من أتباع رشيد وقتلوا[1]، هذا التحصين ضمن بقاء الجيوش الإسبانية بالتراب الإفريقي ما يقرب أربعين سنة[2].

ثانيًا: معاهدة الاستسلام ونتائجها

1- معاهدة الاستسلام (06صفر942هـ/06أوت1535م):

بعد أن أتم الإسبان مجازرهم، دخل الإمبراطور شارلكان تونس متظاهرًا بمنع جنده من الاعتداء، وبإعطاء الأمان للناس فاستتب الأمن، وعادت الحياة إلى مجراها الطبيعي، بعد أن دخل عليهم الرعب والهلع المقصودين حتى لا يرفعوا رؤوسهم بعد ذلك[3].

استطاع شارلكان إرجاع الحسن الحفصي إلى عرشه بعد أن دخل تحت حمايته[4]، فرض عليه معاهدة الاستسلام، في يوم السادس من أوت 1535م، والتي أقرت تبعية للإمبراطور شارلكان، كما أقر ذلك السلطان الحفصي مولاي الحسن في خطابه الذي قد وجهه للإمبراطور الإسباني فيما قبل، وقد تضمنت المعاهدة شروط قاسية ضد التونسيين، وضد السلطان الحسن الذي قبل بها[5]، ومما جاء فيها:

1) إخلاء سبيل الأرقاء المسيحيين والإباحة لجميع المسيحيين بالاستيطان في إقليم تونس وإقامة شعائر دينهم بدون معارضة[6].

---

(1) حاجي خليفة: **المرجع السابق**، ص107.

(2) محمد الهادي الشريف، **المرجع السابق**، ص65.

(3) محمد العروسي المطوي، **المرجع السابق**، ص703.

(4) محمد العروسي المطوي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار المغرب الإسلامي، ط2، تونس، 1982م، ص270.

(5) الشافعي درويش: **الحملة الإسبانية على تونس 1535م**، المرجع السابق، ص09.

(6) عبد الكريم الفيلالي: **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، شركة تاس للطباعة، ط1، القاهرة، 2006م، ج3، ص268.

2) أن يتنازل شارلكان عن مدائن بونة (عنابة)، بنزرت، حلق الوادي.

3) أن يدفع له مبلغ اثني عشر ألف دوكا[1] مصاريف الحملة.

4) أن يقدم له سنويا اثنى عشر حصانا ومثلها من المهارة العربية، علامة على امتنانه.

5) أن يضع فرقة من جيش الإسبان يخصص لها اثني عشر ألف دوكا تكاليف إقامتها[2].

6) أن يلتزم بعدم السماح للبحارة المسلمين بالرسو في الموانئ التونسية، وألا يدخل بلاده أحد من مهاجري الأندلس.

7) أن يسمح الملك الحفصي للإسبان بصيد المرجان بتونس.

8) أن يأتي إلى تونس قنصل وقاضي للبث في الخصومات بين المسيحيين.

9) أن يتعهد الإمبراطور بحماية التونسيين.

10) كما اشترط على الحسن الحفصي أنه لو خالف أحد شروط المعاهدة المبرمة بينه وبين شارلكان فإنه يدفع أول مرة 5000 دوكا، وفي الثانية 100000دوكا، أما إن خالف الأمر في المرة الثالثة فإن حقه في الملك يسقط[3][4].

في 17 أوت 1535م غادر شارلكان شواطئ تونس، وبقيت حاميات إسبانية في حلق الواد وغيرها من المراكز الساحلية، وأبقى في تصرف مولاي الحسن مائتي إسباني، على أن تبقى تلك القوة في قصر القصبة لحراسة السلطان شخصيًا، وعين برناردو دي ماندوزا (Bernando de

---

(1) **الدوكة:** نوع من النقود الإسبانية قيمة الواحدة من العشرة إلى الإثني عشر فرنكا ذهبيا. ينظر حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص127.

(2) عبد الكريم الفيلالي: **المرجع السابق**، ج3، ص269.

(3) لحسن قرود: **المرجع السابق**، ص180.

(4) ينظر الملحق رقم (05) ، ص121.

(Mandoza [1]) قائدا في حلق الواد وممثلاً لشارلكان في تونس، فكان هدفه الأول منصبا على بناء القلاع الإسبانية في حلق الواد وبنزرت وعنابة، وتدمير الأسوار التي كانت تحمي الأحياء المسلمة في تلك المدن التي أصبحت إسبانية[2].

2- نتائج المعاهدة:

سيطرة الإسبان على المدن والسواحل التونسية.

أ) المدن:

بعدما أحكم شارلكان سيطرته على مدينة تونس[3] عاد إلى معسكره القديم في قرطاجة، وأمر الأسطول الإسباني بالعودة إلى موانئه الأصلية في إسبانيا، أما هو فقد توجه للسيطرة على باقي المدن[4].

- **المهدية**[5]: وهي أول المدن التي توجه إليها شارلكان رغبة منه في السيطرة عليها، غير أن سوء الأحوال الجوية اضطرته لتأجيل تلك الحملة فتوجه إلى صقلية، حيث نزل في ميناء طرابلس، وانتهز فرصة إقامته بذلك الميناء لتدبير الهجوم منه على مدينة المهدية على رأس خمسة آلاف رجل من قوات الإنزال، غير أن الرياح العاتية واضطراب البحر أحبطت مشروعه[6] ولم يستطع الظفر بها في تلك السنة.

---

(1) **برناردو دي ماندوزا:** من قادة البحرية الإسبانية ومستشار شارلكان أثناء احتلال تونس...للمزيد ينظرلحسن قرود:المرجع السابق ، ص181.

(2) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص237.

(3) ينظر الملحق رقم (06)، ص 122.

(4) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص91.

(5) **المهدية**: من عواصم الساحل التونسي أسسها المهدي عبيد الله الشيعي... للمزيد ينظر: الحبيب تامر: **هذه تونس**، مكتب المغرب العربي،(د،ط)، (د.م.ن)، (د.س.ن)، ص04.

(6) البارون الفونص روسو: **المرجع نفسه**، ص91.

لقد أراد الإمبراطور شارلكان الاستحواذ على مدينة المهدية[1] بأي شكل من الأشكال، هذا نظرًا لموقعها فهي الأقرب إلى صقلية، ولم تتح له الفرصة إلا سنة (946هـ/1539م)، حيث استطاع الإسبان إنزال حامية عسكرية بها، وذلك بطلب من سلطان تونس الحفصي للقضاء على ثورة داخليه ضده، فغضب السكان وثاروا لأنهم لم يرضوا بهذا الاحتلال فاضطرت الحامية على الانسحاب.

- **احتلال بنزرت (942هـ/1535م)**: لقد نصت معاهدة الاستسلام بين الحسن الحفصي وشارلكان أن يتم التنازل للإسبان على مدينة بنزرت كما رأينا سابقا، لذلك أمر شارلكان قائده أندري دوريا بمهاجمتهم من جهة البحر، أما السلطان الحفصي فيهاجمهم من جهة البر، فتم أخذ المدينة عنوة لأن الأهالي والعثمانيين المتواجدين في الحصن قد استسلموا من أول وهلة، استغل الحسن الحفصي الوضع فأنزل عقابه بالسكان الذين ثاروا ضده ثلاث مرات[2]؛ وفي الرسالة التي بعثها الدوق برناردو دي ماندوزا إلى الإمبراطور شارلكان (942هـ/1535م) يخبره فيها بأن السلطان الحفصي قد قام بهدم حصون بنزرت، وأن هذا التصرف قد أعجبه وكان يتمنى أن يتم هذا مع باقي المواقع البحرية لتونس، عندها لم يجد القراصنة ملجأ[3].
- **احتلال عنابة 1535م**: ما كاد خير الدين يغادر مدينة عنابة، بعد انسحابه الاضطراري من تونس سنة 1535م، ويعود إلى الجزائر من أجل مواصلة الجهاد وحمل الحرب إلى بلاد العدو، حتى بادر الإسبان بمهاجمة عنابة، التي كانت تابعة إسميا لسلطة بني حفص بتونس[4]، ولكن تنازل عنها سلطانها أبو الحسن الحفصي للإسبان بناءً على ما نصت عليه المعاهدة التي عقدت بين الملك الحفصي وشارلكان[5].

---

(1) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص97.

(2) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص98.

(3) لحسن قرود: **المرجع السابق**، ص183.

(4) أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص239.

(5) محمد دراج: **المرجع السابق**، ص322.

ويعود سبب اهتمام الإسبان بمدينة عنابة وتوجيه أنظارهم إلى موقعها الإستراتيجي حيث جاء في تقرير تجسسي موجه إلى الإمبراطور مؤرخ في شهر جويلية 1535م، يبين أهمية مدينة عنابة، يقول فيه صاحبه: "أن المدينة مثل بنزرت، لها وادي بإمكان المراكب الدخول فيه وقضاء فصل الشتاء، وأنها ذات موقع قوي يجب احتلالها"، هذا ما دفع شارلكان لإصدار أمر احتلال عنابة وكلف لهذا الغرض الماركيز دي موندیجار في (942هـ/16 أوت 1535م)، وهو في طريقه لإسبانيا.

خلال شهر أوت من نفس السنة تحرك الدون ألفارو دي بازان (Don Alvaro de Bazane) الذي سبق موندیجار، ومعه خمس عشر سفينة فوصلها يوم 23 أوت 1535 متأخرًا بخمسة أيام بسبب هبوب رياح معاكسة لسفنه[1]، ظهرت السفن الأولى قبالة مدينة عنابة، وما إن تم الإنزال حتى هاجمهم الأهالي فأجبروهم على الخروج من الميناء، وفي 25 أوت وصل الجزء الأكبر من الأسطول الذي كان يقوده دي موندیجار[2]، وكان يحمل على متنه ثلاثة آلاف رجل تم إنزالهم بعيدا عن المدينة، حيث شكل الإسبان كتيبتين وتوجهوا إلى الحصن الذي تخلى عنه العرب، فاحتلوا القصبة والمدينة، وفي الأيام الثلاثة الموالية أنزلوا عتادهم ومؤونهم[3].

ثم باشر الإسبان بالنهب والسلب ويروي مارمول كربخال في هذا الصدد: "عاثوا في تلك الجهات فسادًا يغيرون على أهلها من العرب والبربر ويغنمون منهم عددا من المواشي والعبيد وغير ذلك"[4]، واستمرت تلك الأعمال ما بين سبعة إلى ثمانية أيام، ثم قام دي موندیجار بمغادرتها بعد أن

---

(1) عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر**، المرجع السابق، ص157.

(2) صالح عبّاد: **المرجع السابق**، ص63.

(3) صالح عباد:المرجع السابق، ص64.

(4) مامول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص09.

ترك فيها بناءًا على تعليمات الإمبراطور 200 جندي بالقصر، و600 جندي بالمدينة[1]، وعين ألفارو قوميز (Alvaro Gomez) حاكما لعنابة، ووضع تحت سيطرته حامية إسبانية قدرت بألف من المشاة، وخمسة وعشرين من الفرسان[2].

رغم ذلك لم يتمكن الإسبان من احتلال سوى مدينة عنابة ولم يستطيعوا احتلال أحوازها[3]، لأن العرب الذين خرجوا من المدينة استقروا حولها محاصرين للإسبان، منتظرين وصول المدد من أجل مباشرة عملية إنقاذ مدينتهم[4]، قام هؤلاء العرب بمساعدة الأتراك العثمانيين على نصب الكمائن على أبواب عنابة، ولكنهم فشلوا في هزم المسيحيين[5].

سعى الإسبان للاحتفاظ بمدينة عنابة من خلال تعيين الموظفين والعسكريين، والإنفاق على تكاليف الجيش الإسباني بالمدينة، وكذلك عبر الأشغال التي ينبغي القيام بها وإنجازها لإبقاء الحصن بكل إمكانياته الدفاعية ضد أي هجوم للمسلمين عن طريق البر أو البحر[6].

بعد موت ألفارو قوميز أصدر الإمبراطور أمره بالتخلي عن ثغر عنابة وإحداث خروق في جدران الحصن، وهدم الأبراج التي في المدينة والحصن، ولكنهم ما لبثوا أن أصلحوها بسبب ما في هذا

---

(1) عبد القادر فكاير: **الصراع الإسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر**، المرجع السابق، ص158.

(2) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص09.

(3) عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري الاسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر**، المرجع السابق، ص158.

(4) أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص240.

(5) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص09.

(6) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص100.

البلد من خيرات، ولما عجز ملوك تونس الدفاع عن هذه المدينة[1]، غادرها الإسبان يوم 16 أكتوبر 1540م[2]، فاستولى عليها الأتراك وعمروها وقاموا بتحصينها[3].

ب) السيطرة على السواحل الحفصية

ظلت مدن الساحل وكل الجنوب التونسي على سابق ولائها للباب العالي، لذلك كتب دي ماندوزا في 26 أكتوبر 1535م أن مدن سوسة والمهدية ومنستير وصفاقس وكل السواحل الممتدة جنوب قليبية كانت تؤيد العثمانيين، وتدفع له الجزية باسم السيد الأعظم، هذا ما دفع شارلكان لإصدار الأوامر من أجل السيطرة على هذه المدن[4].

- **القليبية**[5]: كانت من المدن الموالية للعثمانيين، لذلك كان بينها وبين الحسن الحفصي عداء شديد، فتوجه إليهم الإسبان بغرض السيطرة على المدينة فنهبوها ثلاثة مرات[6]، في المرة الأولى دافع عنها أهلها ببسالة، وقتلوا أو جرجوا أشجع المهاجمين الإسبان، ولكن في المرتين الأخريين لم يظهروا مقاومة لأن المقاتلين من الأتراك وغيرهم انسحبوا من الحصن وتركوا الأهالي دون مدافع[7]، فقتل ألف شخص، وأسر ألفا من الناس والأطفال، وسلمت المدينة للحسن الحفصي[8].

---

(1) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص09.

(2) صالح عبّاد: **المرجع السابق**، ص64.

(3) مارمول كربخال: **المصدر نفسه**، ج3، ص09.

(4) نقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص ص 237،238.

(5) **القليبية**: قلعة مبنية على هضبة كبيرة، تبعد بميل واحد من الساحل، وعن مدينة الحمامات بـ35 ميل... للمزيد ينظر: يعقوب جايماز أوغلي: (**تونس من خلال كتاب بحرية لرحالة التركي بيري رايس في القرن السادس عشر**)، في المجلة التاريخية المغربية، (د،م،ن)، ع10، جانفي 2003م، ص284.

(6) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص63.

(7) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص64.

(8) علي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، دار العربية للكتاب،(د،ط)، تونس، ليبيا، 1982م، ص136.

- **سوسة**[1]:

ثارت المدينة ضد سلطة الحسن الحفصي، لأنهم لم يغفروا له استنجاده بالنصارى لغرض استرجاع ملكه، فحملوا السلاح ضده، واستحوذ الأتراك عن مدينة سوسة، هذا ما دفع الحسن الحفصي لشن حرب ضدهم، فلما عجز عن طردهم منها استنجد بالامبراطور شارلكان، فكلف هذا الأخير سنة 1535م ماركي دوطيرنوف القيام بحملة ضد مدينة سوسة[2].

فحضر لهذا الغرض أربعة عشرة سفينة بحرية، عشر منها في صقلية وأربعة من مالطة ومعها أربع سفن ضخمة كان على متنها ألفان من الجنود الإسبانيين، وبعض الجنود الصقليين، أما ملك تونس فقد قام بإرسال جيش عن طريق البر قوامه سبعة آلاف فارس من الأهالي و العرب وجعل والده على رأسهم[3]، دارت معركة شرسة بين الطرفين، استطاع الإسبان خلالها حصار المدينة مدة طويلة دافع أثناءها الأتراك العثمانيون والأعلاج دفاعا شديدا وذلك برمي الحصى وكتل الحجارة من فوق البرج، وقتلوا بذلك الدون دييكو دو كاستيليا (Don Diko De Castilia) قائد المعسكر و لوب دوميلو (Lope Domillo) قائد إحدى السفن الحربية المالطية وعدد من النبلاء والجنود، فاضطر النصارى للانسحاب بعد نفاذ ذخيرة الحرب والمؤونة[4].

بعد انقضاء عامين على وقوع تلك الحملة الفاشلة استطاع أندري دويا أن ينتقم لها بشدة، حيث ترتب على ذلك خضوع مدينة سوسة لسلطة الحسن الحفصي[5].

---

(1) **سوسة**: تقع سوسة على البحر، يحيط بها سوار عال، جميل يضمن حمايتها...للمزيد ينظر: إيفالد: **رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835م مرورًا بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمنستير والمهدية وصفاقس وقابس وجربة**، تر، تع:منير الغندري، بيت الحكمة،(د،ط)، تونس، 1991م، ص40.

(2) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص91.

(3) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص65.

(4) مارمول كربخال :**المرجع السابق** ، ص66.

(5) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص92.

- **صفاقس**[1]:

بعد احتلال تونس من طرف شارلكان، رفض أهل صفاقس الخضوع له، لأنهم كانوا موالين للعثمانيين[2]، فجهز لهم أندري دوريا حملة تتضمن سفن حربية سريعة وسفن من نابولي ومالطة وصقلية فجمع له ثلاث وأربعون سفينة حمل عليها جنود الإسبان والمشاة، استولى الإسبان على مدينة صفاقس وسلمت لملك تونس، لكن سرعان ما عاد سكان هذه المدينة للتمرد ،وتم طرد الموالين للملك، واستقبلت الأتراك العثمانيين[3].

- **المنستير**[4]:

تمرد سكان مدينة المنستير على الحسن الحفصي، ومن أجل إخضاعها استولى عليها أندري دوريا سنة 1539م، وترك بها فرقة من الجنود الإسبان بأمر من الإمبراطور شارلكان، بقصد تعزيز شيعة ملك تونس[5]، لكن هذه الحامية لم تكمل مهمتها في المنستير، وغادرت في (948هـ/ ماي 1541م)، مما جعل العثمانيين يبسطون نفوذهم عليها مرة أخرى[6].

---

(1) **صفاقس**: مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط... للمزيد ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **المصدر السابق**، ج2، ص87.

(2) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص102.

(3) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص66.

(4) **المنستير**: مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر، بعيدة بنحو اثني عشر ميلا عن سوسة... للمزيد ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **المصدر السابق**، ج2، ص87.

(5) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص67.

(6) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص103.

ثالثًا: الإنتفاضات والثورات ضد حكم الحسن الحفصي

قام الحسن الحفصي بمحاولات عديدة لتوسيع نفوذه وتمديد رقعته، إذ كان نفوذه لا يتجاوز تونس وجهاتها بينما كانت أطراف البلاد مستقلة عنه، ويتولاها الأعراب والأتراك أو الإسبان[1].

1- محاولات الحسن الحفصي إخضاع القيروان:

بعد واقعة الأربعاء التي سبق ذكرها أعلن سيدي عرفة[2] استقلاله بالقيروان وبالمناطق التي يسكن فيها القبائل المواليين له، فبادر الحسن بمهاجمة القيروان باعتبارها الخطر الداهم على عرشه المهتز، ولأهميتها الروحية والعسكرية لأنها الوطن الروحي لأهل المغرب والمتصلة جغرافيا بموطن القبائل الممتدة في أرجاء إفريقية[3].

أ) **معركة باطن القرن (942هـ/1535م)**: اتجه الحسن الحفصي إلى القيروان بجيش مكون من بعض الأعراب والمسيحيين في شهر سبتمبر، ووصل إلى مكان يعرف بباطن القرن الواقع غربي القيروان، ولما عسكر فاجآه جيش الشابية ليلا مما أدى إلى وقع معركة بينهم انتهت بهزيمة الجيش الحفصي الذي انضم أغلبه للشيخ عرفة[4]، فعاد الحسن الحفصي إلى تونس مكسورًا بعد أن جرد

---

(1) محمد العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي، المرجع السابق**، ص705.

(2) **عرفة الشابي** (1473-1543م): هو عرفة ابن الصوفي الكبير العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي، عرف بصراعه ضد الإسبان والحسن الحفصي... للمزيد ينظر: علي الشابي: **المرجع السابق**، ص ص19، 20.

(3) نفسه، ص123.

(4) يوسف بن حيدة: **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية "الطريقة الشابية نموذجا"**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد مكحلي، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017/2016م، ص118.

من أمواله وسلاحه[1]، وبعد أشهر قليلة أعاد الحسن حملة ثانية ضد آل الشابي، متحالفا مع أحد زعماء أولاد أبي الليل يسمى "عبد الملك"[2] [3].

التقى الجمعان في حوالي (943هـ/28 جانفي 1536م) خارج أسوار القيروان، وانتهت المعركة بهزيمة الحسن الحفصي أمام القوات الشابية، فاضطر للهروب واللجوء إلى قبيلة أولاد سعيد[4] عند شيخها باضياف المتحالف معه[5].

أما في الحملة الثالثة التي كانت في ربيع 1540م، تعرضت خلالها القوات الحفصية التي بلغ عددها قرابة ثمانية آلاف رجل بقيادة ابن السلطان الحفصي للهجوم فأبيدت عن آخرها[6].

بعد هذه الهزائم المتوالية للحسن الحفصي[7]، أقسم أن يسندها للنصارى ويفعل بها ما فعل بأهل تونس[8].

ب)واقعة المنستير (12 نوفمبر 1540م)

وافق الحسن على إقناع الإسبان بالقتال معه ضد سيدي عرفة[9]، فقدموا له ثلاث فيالق إسبانية من صقلية ونابولي والمجر تحت إمرة الدون غارسيا دي توليد(Don Garicia de Tolède) في

---

(1) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص156.

(2) **قبيلة أولاد أبي الليل**: هي قبيلة لها ستة شيوخ، أهمهم الشيخ عبد المالك، وعدد فرسان هذه القبيلة يصل إلى ألف ومائتين... للمزيد ينظر: رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص105.

(3) محمد العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي**، المرجع السابق، ص705.

(4) **أولاد سعيد**: لم يتمكن الحفصيون من الانتصار عسكريا على قبيلة أولاد سعيد، فجنحوا لمهادنتها، واعترفوا لها بسيطرتها الفعلية التي اشتملت عليها، مقابل دفع إتاوات سنوية قدرت بـ6000 دينار...للمزيد ينظر: لحسن قرود: **المرجع السابق**، ص188.

(5) يوسف بن حيدة: **المرجع السابق**، ص119.

(6) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص243.

(7) محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج: **المرجع السابق**، ج2، ص206.

(8) أحمد بن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص15.

(9) علي الشابي: **المرجع السابق**، ص132.

سبتمبر 1540م، وأضاف إليهم البدو المواليين له[1]، وفرقة الجنود الإسبانيين التي كانت موجودة في المنستير وعدد من قطع المدفعية[2]، فكان مجموعهم ألفان من الإسبان و15000 من البدو الذين جاءوا جميعا مع نسائهم وأولادهم[3].

أما الجيش الشابي في هذه الواقعة كان يتكون من قبائل البدو، والزمالات التي تضم النساء والأطفال وكان عددهم يزيد عن مائة ألف[4].

التقى الجمعان في مكان يتوسط المنستير وجمالة، يبعد عن جمالة والمنستير نحو 10 كلم، ودارت بينهما حرب ضاربة استمرت يوما كاملاً من التاسعة صباحا إلى الغروب[5]، انتهت هذه المعركة بهزيمة الحسن الحفصي، لأن أغلب جنده انحازوا إلى الجيش الشابي، ووقوعه في الكمين الذي أعد له[6]، هذا ما اضطره للانسحاب نحو مدينة تونس وبمعيته جنود حامية المنستير الإسبانية الذين صدوا عنه هجمات الشابيين وغطوا انسحابه[7].

بعد هذه المعركة أصبح الحسن الحفصي في عزلة تامة، وتوقف الإسبان عن إمداده بالجنود والذخيرة حتى أن دي ميندوزا أشار مرارًا في رسائله أن الحسن لم يعد يطيقه أحد لأنه تسبب بويلات كثيرة لشعبه، ولما أحس هذا الأخير بالكراهية العارمة من قبل بني جلدته أصبح أكثر إلحاحا

---

(1) يوسف بن حيدة: **المرجع السابق**، ص120.

(2) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص67.

(3) لحسن قرود: **المرجع السابق**، ص188.

(4) يوسف بن حيدة: **المرجع السابق**، ص120.

(5) علي الشابي: **المرجع السابق**، ص132.

(6) ازداد أمر الحسن الحفصي سواءً حين وقع صحبة البقية من جيشه في كمين نصبه له خصمه وذلك بإخفاء أربعة عشر ألف فارس في الغابة وانقضوا عليه في الوقت المناسب ...للمزيد ينظر: **نفسه**، ص133.

(7) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص92.

للحصول على مساندة من الإسبان والتوسل إلى الإمبراطور، كي لا يتركه لمصير مجهول[1]، فكانت تونس تعاني حالة مضطربة، فالأهالي لا يوالون إلى المولى الحسن المعين عليهم من طرف الإسبان تحت قيادة شارلكان، وكانت المعارضة برئاسة ابنه أحمد، كما أن أكثر المدن استقلوا وكثير من القبائل انفصلوا عنه، حيث لم يتعدى حكم مولاي الحسن إلا أسوار المدينة[2].

2- تمرد أبو العباس أحمد على والده الحسن الحفصي:

أ) الصراع بين الحسن الحفصي وابنه أحمد

حين أدرك مولاي الحسن اليأس وسد عليه الأمل وانقضى على هزيمته الرابعة في القيروان نحو ثلاث سنوات، قرر السفر إلى أوروبا ليطلب النجدة من شارل الخامس[3]، فسافر في صيف 1543م إلى إيطاليا لطلب النجدة بقصد القضاء على الشابية وإباحة القيروان وطرد الأتراك من الساحل الإفريقي[4]، ولكن قبل وصول الحسن الحفصي إلى شارلكان فاجأته أحداث داخلية في تونس غيرت من اتجاهه، فقد وصلته أخبار تعلمه أن ابنه أحمد أمير عنابة جاء بعده إلى تونس ونادى بنفسه سلطانا عوض والده[5]، وذلك بالرغم من معارضة حامية حلق الوادي الإسبانية التي كان يقودها دون فرانسيسكو دي توبار (Francisco de Tobar) [6].

ويعود سبب تمرد أحمد بن الحسن الحفصي إلى رفض استنجاد والده بأعداء الدين مرة أخرى، وأن البلاد في حالة فوضى، فاغتنم فرصة غياب والده وقدم إلى تونس وأحدث انقلابا على والده بعد

---

(1) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص106.

(2) لحسن قرود: **المرجع السابق**، ص189.

(3) علي الشابي: **المرجع السابق**، ص137.

(4) **نفسه**، ص138.

(5) محمد العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي**، المرجع السابق، ص706.

(6) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص92.

استشارة الأعيان في تونس، واستطاع القضاء على أنصار والده ودخول المدينة، أما الحرس الإسباني الذي كان مكلفا بحماية السلطان الحسن فقد أيد الانقلاب.

حشد الحسن الحفصي في الحال بضعة آلاف من المتطوعين النصارى وجعل على رأسهم لوفريدو (Lofredo) النابوليتاني، وعبر البحر عائدا إلى تونس لمحاولة استرجاع الحكم من ابنه[1]، يروي ابن أبي دينار في هذا الصدد قائلا: "ولما وصل الحسن بالنصارى هبطوا إلى البر فسمع السلطان أحمد وأهل البلد، ووقعت هرجة عظيمة، وخاف أهل المدينة أن يصابوا مثل المرة الأولى ففروا خفافا وثقالاً بنية الجهاد والمدافعة عن الأموال والأولاد، ونادى منادي أحمد: من أتى بأسير ورأس قتيل فله مائة دينار وجلس عند باب القصبة، وجعل الدنانير في قراطيس من الكاغد، وحرض الناس على الجهاد، فخرج أهل الربضين بلا سلطان معهم والتقوا بالنصارى والحسن، وكانت المصاف من خربة الكلخ (شرقي تونس) إلى سانية العناب"[2]، فدارت بينهما معركة هزم مولاي الحسن وجيشه، وجيش الإسبان المتحالف معه، والتف سكان تونس حول أبي العباس لأنهم تخوفوا من أن يحدث لهم ما حدث على يد الإسبان في الحملة السابقة لشارلكان[3].

أما الحسن الحفصي فقد تحصن بقلعة حلق الواد وهرب فأدركه أبو الهول أحد رؤساء الأعراب، وأتى به لابنه فاعتقله ثم أذهب بصره، وقبل وفاته ركب البحر مستنجدا بالنصارى من أجل أخذ المهدية لكنه هلك في الطريق ودفن في القيروان[4].

---

(1) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص106.

(2) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص157.

(3) الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي**، المرجع السابق، ص119.

(4) الباجي المسعودي: **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، تق وتح وتع: محمد زينهم، محمد عزب، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2013م، ص205.

وعندما شاعت أخبار تلك الأحداث وصل إلى حلق الوادي ألف وخمسمائة جندي من جنود جيش نابولي، تحت قيادة ألونزو دي بيقاس (Alonso Pegas) لمساعدة حاكم هذه المنطقة للإطاحة بأبي العباس أحمد الحفصي، فلم تلبث تلك القوة النصرانية أن طردته من العرش واستبدلته بعمه عبد الملك، غير أن هذا الأخير توفي بعد تنصيبه بستة وثلاثين يوما فاختاروا بدلاً منه محمد[1].

ب)تونس تحت سلطة أحمد بن الحسن الحفصي:

كانت الظروف الداخلية التي تولى فيها أحمد الحفصي (1543-1570م) ظروفا صعبة شديدة[2]، فخزينة الدولة كان قد أفناها أبوه في شهواته والإنفاق على عسكر الإسبان لتخريب البلاد[3].

بالإضافة إلى ذلك فقد جابهه الأعراب وأحدثوا فوضى واضطرابات[4] منهم أولاد سعيد شنوا عليه الغارات إلى أن وصلوا إلى الجبل الأخضر، وأخذوا بعض مواشي السلطان أحمد، فخرج لهم بنفسه وقتلهم، ولما استوثق له الأمر أعد جيشا تعداده ثلاثة آلاف وأطلق عليه اسم زمامزية، وأمر بقتال وألاد سعيد فبدد شملهم وأهانهم.

ويعتبر السلطان أحمد بن الحسن الحفصي أول من راسل ملوك الترك بحيث بعث أولاً محمد القصيبي في أيام حسن بن خير الدين، وبعث بعده محمد المريش، وبعدهم بعث أبا الطيب تاج الخضار للباشا علي وهو بمدينة طرابلس، وبعث الطيب مرة أخرى إلى القسطنطينية وهي البعثة

---

(1) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص93.

(2) محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، **المرجع السابق**، ص712.

(3) أحمد ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص17.

(4) محمد العروسي المطوي: **المرجع السابق**، ص712.

الأخيرة[1]، هذا ما يبين لنا إعلان تعاطف أحمد بن الحسن مع العثمانيين، أما البدو فقد عاملهم ككفرة معادين له.

تمثلت الركيزة الأساسية التي استند إليها حكمه لتونس الأعيان وكبار الرجال الحفصيين القدامى، ولتسيير شؤون الدولة وضع رئيس الحرس الإسباني خوان الذي تخلق بأخلاق المسلمين. أما مولاي محمد فلم يتمكن من الحصول على ثقة الأهالي[2].

ومما سبق نستنتج:

- كانت هناك العديد من الأسباب دفعت خير الدين لتوجيه حملة ضد تونس أهمها الموقع الاستراتيجي واستنجاد الرشيد به.
- شن خير الدين حملة على تونس سنة 1535م وتمكن من السيطرة عليها بسهولة وألحقها بالدولة العثمانية رغم رفض الحسن الحفصي وبعض الأعيان.
- لم تمض سنة على جعل تونس إيالة عثمانية حتى جاء النصارى بقيادة شارلكان سنة 1535م، وجعلوها محمية إسبانية.
- نصت معاهدة الاستسلام التي تم توقيعها بين الحسن الحفصي وشارلكان على شروط قاسية سواءً للحسن الحفصي أو لتونس، ولكن الحسن قبل بها طمعا في استرجاع عرشه.
- لم يقبل أهل تونس بإعادة الحسن الحفصي إلى العرش فقامت العديد من الثورات في بلدان مختلفة، المهدية، بنزرت، عنابة، صفاقس...فدخلوا في حروب مع الحسن الحفصي الذي كان دائما يستنجد بالنصارى ضد أبناء جلدته.

---

(1) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص160.

(2) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص248.

- قامت ثورات وتمردات ضد الحسن الحفصي، منها انفصال الشابيين في القيروان، فوجه إليها الحسن الحفصي أربع حملات، باءت كلها بالفشل، كذلك تمرد عليه ابنه أحمد الذي استغل غياب والده واعتلى العرش.
- قام أحمد ابن الحسن الحفصي بالعديد من التنظيمات بقصد السيطرة على تونس.

- عمل أحمد الحفصي على توثيق صلة العلاقة بينه وبين الحاكم التركي في طرابلس الغرب "درغوث باشا" وذلك نظرا للمصالح المشتركة بينهما والمتمثلة في القضاء على الشابيين المستولين على القيروان ومواجهة الاحتلال الاسباني، هذا ما سوف نفصله في الفصل الموالي.

الفصل الثالث:

الصراع الإسباني العثماني على تونس

خلال النصف الثاني من القرن 16

- المبحث الأول: مساهمة درغوث والعلج علي في تحرير المدن التونسية خلال النصف الثاني من القرن 16.
- المبحث الثاني: التدخل الإسباني في تونس خلال النصف الثاني من القرن 16.
- المبحث الثالث: التحرير العثماني لتونس وتداعياته خلال النصف الثاني من القرن 16.

صحيح أن شارلكان فرض الحماية على تونس وتمكن منها في 1535م ونصب مولاي الحسن حاكما عليها، لكن ذلك لا يعني أن أهالي تونس كانوا راضين على استنجاد ملكهم بشارلكان، خاصة وأنهم كان يتلقون كل أنواع الظلم المادي والمعنوي في عُقر دارهم على يد الإسبان، مما حملهم (أهالي تونس) على بذل الغالي والنفيس من أجل تحرير المدن التونسية رفقة كل من درغوث باشا والعلج علي، وكان للدولة العثمانية دور كبير في ذلك أيضا ،فواجهوا إسبانيا بكل ما أوتوا من قوة.

ومن خلال هذا الصياغ نطرح العديد من الأسئلة:

- من هو درغوث باشا؟ وماهي المدن التونسية التي افتكها من الإسبان؟
- من يكون العلج علي؟ ولماذا لم يتمكن من الاحتفاظ بتونس بعدما ظفر بها؟
- كيف تمكن سنان باشا من تحرير تونس 1574م ؟ وماهو حال النظام العثماني في تونس بعدما أصبحت إيالة عثمانية؟

المبحث الأول: مساهمة درغوث والعلج علي في تحرير المدن التونسية خلال النصف الثاني من القرن 16

أولاً: مساهمة درغوث في تحرير المدن التونسية

أ) التعريف بدرغوث:

من أشهر رياس البحر في عهد خير الدين وحسن آغا، أصله من جزيرة رودس، وهو من أبرع تلامذة خير الدين[1]، ومن أعظم رؤساء السفن في بحر المشرق، ذو خبرة في معرفة الجزر والمراسي والقراضات الموجودة في البحر المتوسط[2].

[1] عبد الحميد بن زيان بن أشنهو: **المرجع السابق**، ص153.

[2] مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص71.

اختلفت الآراء حول مكان ولادته من رودس إلى أناضوليا إلى اليونان، المهم أنه منذ الصغر لفت نظر خير الدين إليه، وصعد بسرعة حتى أصبح أقرب مساعديه، وكان على رأس أحد أجنحة الأسطول العثماني في بريفيزا 1538م[1].

أخذ حقه في مقاومة القراصنة الإسبان بالسواحل التونسية [2]، فكان بحارا عثمانيا من طراز خير الدين ،حيث تصدى للقرصان أندري دوريا [3]،إلا أنه تم القبض عليه من قبل ابن أخ دوريا بعد معركة غير متكافئة اضطر فيها درغوث للاستسلام في 15جوان1540،حيث قضى4سنوات مقيدا في سفن عائلة اللوميليني التي اشترته من دوريا [4]

تم اتفاق خير الدين بربروس مع أندري دوريا على إطلاق سراح درغوث باشا حيث كانت الفدية عالية ،فقد حصل البيت الجنوي اللوميليني على امتياز بإقامة مرسى ومصنع لصيد المرجان على جزيرة طبرقة ،بينما حصل دوريا على ثلاثة آلاف دوكا ذهبية[5]،وهذا طبعا بعد موافقة السلطان سليمان القانوني ،بقي درغوث وفيا لسياسته المعادية للمسيحيين خاصة المالطيين والإسبان ونظرا لاستحالة عودته إلى الإيالة الجزائرية بسبب التزام هذه الأخيرة بالهدنة الموقعة بين الدولة العلية والإمبراطورية الإسبانية فكان لابد للبحث عن مكان يزاول فيه جهاده البحري فكانت جزيرة تونس مكانه المفضل[6] ، فحارب بعنف وشدة أساطيل العدو، وقتل الأعداء تحت إمرة خير الدين وحسن آغا[7]، وفي سنة 1551م تمكن من تحرير طرابلس رفقة مراد آغا وسنان باشا ،فعينته الدولة العثمانية

---

(1) نجيب دكاني: **المرجع السابق**، ص110.

(2) يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر،(د،ط)، وهران، 1993م، ص258.

(3) يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830، **المرجع السابق**، ص19.

(4)محمد سي يوسف: **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 1988م، ص64.

(5)جون ب، وولف : **المرجع السابق**، ص65.

(6)طاهر تومي : **المرجع السابق**، ص310.

(7)عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو: **المرجع السابق**، ص154.

والي عليها تكريما لجهوده [1]ويعتبر عهد درغوث باشا العصر الذهبي لطرابلس الغرب من الناحية الاقتصادية، توفي في (972هـ/1564م) متأثرًا بإصابة أُصيب بها عند مشاركته في حصار مالطا إلى جانب الأسطول العثماني[2]، وحُملت جثته بخمس سفن من أسطوله إلى طرابلس الغرب حيث دفن هناك[3].

ب)مساهمة درغوث في تحرير السواحل الشرقية لتونس:

تمكن درغوث من السيطرة على معظم الموانئ الساحلية التونسية ومنها المهدية، وألحق بالحسن الحفصي الخاضع لحماية الإسبان هزائم متعددة[4].

استولى على جزيرة جربة واتخذها قاعدة له ومنها شن الحرب على السواحل الإيطاليا حيث كان يلقي القبض على كل سفينة لا تحمل العلم الإسلامي [5]،واستطاع أن يؤلف أسطولا قوامه 14 سفينة غزا بها سواحل نابولي ثم طرد الإسبان من سوسة والمنستير وصفاقس واحتلها وكان يسعى إلى احتلال المهدية ليجعل منها قاعدة لأعماله البحرية [6].

وفي بداية 1550م استولى درغوث على المهدية التي كان لها موقع طبيعي قوي في التحصين وأبراج دفاعية جعلت منها إحدى المواقع البحرية الإستراتيجية[7]،بعد مباغتتها تمكن منها بتواطؤ مع أحد أعيان المدينة و أقام نفسه حاكما عليها على الرغم من معارضة السكان[8] واتخذ مدينة المهدية

---

(1) يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830، **المرجع السابق**، ص19.

(2) فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص561.

(3) حاجي خليفة: **المرجع السابق**، ص145.

(4) يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830، **المرجع السابق**، ص44.

(5) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص65.

(6) عمر محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص120.

(7) المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العتماني**، القرصنة،الأساطير والواقع،(د،ط)، دار القصبة، الجزائر،2006م، ج2، ص113.

(8) كوستانزيو برنيا: **طرابلس من1510إلى1830**، تح: خليفة محمد التليسي ،دار الكتب الوطنية،(د،ط) ،بنغازي، 1985م، ص39.

مركزا له[1] ومن هناك كان يقذف بسفنه لسلب المراكب و السواحل المسيحية خاصة سواحل إيطاليا[2]، ونظرا لأهمية المدينة الإستراتيجية عزم العثمانيون على تقوية دفاعها وتحصينها ، وعندما اكتشف أندري دوريا ذلك ،شن هجوما واسعا عليها في جوان 1550 واستبسل درغوث في الدفاع عنها غير أنه فشل لقوة الأسطول المسيحي[3] .

ج) جهود درغوث في تحرير السواحل الجنوبية لتونس:

1– قفصه[4]:

عندما هُزم درغوث في المهدية وانتزعت منه اتجه نحو قفصه ، ولكن سكانها قاوموه فعاد أدراجه إلى جربة، التي قوبل فيها بالرفض وطلبوا منه الانسحاب حتى لا يقدم القراصنة المسيحيون على غزوها[5]. وفي شهر أكتوبر من نفس العام قام بغارة على إسبان المهدية وأحرق مركبا مسينيا وتوجه إلى مدينة قابس، فتخوف حاكم المهدية الإسباني منه، وأبلغ حاكم صقلية باستقرار درغوث بقابس ومدى خطورة ذلك على الأساطيل المسيحية[6].

تمركز درغوث بقابس وأخذ يعد العدة بجمع المراكب والمحاربين، وفي 26 ديسمبر 1550م غادر درغوث مدينة قابس على رأس 600 جندي تركي و150 أسير مسيحي وعدد من المدافع وعندما وصل إلى قفصه جدد محاولته في اقتحامها، فقاومه السكان وتفوقوا عليه ولكنه سينجح بعد 6 سنوات من فتحها[7].

---

(1) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو: **المرجع السابق**، ص155.

(2) ايتوري روسي:ليبيا مند الفتح العربي حتى سنة 1911م: **المرجع السابق**، ص206.

(3) يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، **المرجع السابق**، ص261.

(4) **قفصه**: تميزت هذه المدينة القديمة بموقعها المحوري، في شبكة الطرقات الرابطة بين بلاد السودان والقيروان من جهة والمغرب الأوسط والأقصى والمشرق مرورا بقابس من جهة ثانية. ينظر: محمد حسن: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى،(د،ط)، تونس، 1999م، ج1، ص297.

(5) يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، **المرجع نفسه**، ص261.

(6) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 119.

(7) يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، **المرجع السابق**، ص262.

وفي 20ديسمبر 1556 استولى درغوث على قفصه واستقبل جنوده فيها كمحررين[1]، واحتل في نفس العام جزيرة جربة التي كانت تحت حماية فرسان مالطا[2].

2- القيروان:

لم يكن مولاي الحسن مرغوبا من سكان جنوب البلاد فبقي هذا الجزء خارجا عن نفوذه ، فكانت القيروان عاصمة لإمارة مستقلة يحكمها رجل من الأولياء الصالحين من قبيلة الشابية يدعى سيدي عرفة[3]، الذي اعتبر أن مولاي الحسن كافر بالشريعة الإسلامية لأنه تحالف مع المسيحيين ضد المسلمين، وخلفه أخوه في رئاسة الشابية الذي لاحق بعنف كل من يعارضه ولا يشاطره آراءه[4]، في المنطقة وكان اسمه محمد بن أبي الطيب[5].

وخلال هذه الفترة ذاع صيت درغوث باشا لما حققه من انتصارات أكسبته سمعة كبيرة وجعلته محط الآمال في تخليص أهالي السلطنة الحفصية مما يعانونه من تسلط وقهر[6]، مما جعل سكان القيروان يستنجدون به ضد بن الطيب الشابي وذلك لقبح سيرته في الناس[7].

انتهز درغوث باشا الفرصة واستولى على القيروان عاصمة الشابيين بعد أن قتل محمد بن الطيب الشابي في (966هـ/3 جانفي 1558م) [8]، وبذلك تمكن درغوث من توطيد نشاطه في كامل

---

(1) نقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص231.

(2) نيكولاي ايليتش بروشين: **تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين**، تع وتق: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة،(د،ط)، بيروت، 2001م، ص ص28-29.

(3) محمد الطالبي: **في تاريخ إفريقية أعلام، مواقع، قضايا**، تر: محمد العربي عبد الرزاق، رياض المرزوقي، دار المعارف التونسية،(د،ط)، تونس، 1994م، ص149.

(4) صالح عبّاد: **المرجع السابق**، ص ص92-93.

(5) ايتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، **المرجع السابق**، ص222.

(6) محمد العروسي المطوي:السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي: **المرجع السابق**، ص718.

(7) محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص183.

(8) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص120.

الجنوب التونسي وعمل على تقوية الحزام البري حول طرابلس والسواحل التونسية، وجعل تحركه البحري اتجاه سواحل كالابريا[1].

فبعد أن ضم درغوث باشا القيروان لسيادة العثمانيين ولى عليها حيدر باشا سنة (965هـ/1558م) [2].

ثانيًا: مساهمة العلج علي في تحرير المدن التونسية

أ) التعريف بالعلج علي:

العلج علي ويدعى جلبي كرد أو علي، أصله إيطالي[3]، وقع في أسر المسلمين أثناء واحدة من الحملات التي نظمها خير الدين ضد جنوب إيطاليا ما بين 1524-1528م، اشتهر باسم الفرطاس[4].

بالنسبة لتاريخ الميلاد فهو غير معروف بالضبط فهناك من يحدده بسنة 1500 م[5].

بعد إسلامه أطلق عليه أولوج علي، وخلال فترة وجيزة ارتقى إلى مناصب رفيعة وعلت مكانته، حيث عين القلج علي باشا واليا على مدينة تلمسان وقاد عدة حروب ضد الإسبان[6].

---

(1) عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني**، تق: محمد المزالي، الاتحاد العام التونسي للشغل، ط**1**، تونس، **1984**م، ص**81**.

(2) محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، **المرجع السابق**، ص**273**.

(3) رابح بونار: **المرجع السابق**، ص**539**.

(4) مبارك بن محمد الهلالي الميلي: **المرجع السابق**، ج**3**، ص**103**.

(5) رشيد بن جدي: **رياس البحر في الجزائر ودورهم العسكري والاقتصادي منذ بداية الوجود العثماني إلى غاية نهاية مرحلة البايلربات (1518-1587م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، إشراف: أحمد رواجعية، جامعة بوضياف المسيلة، 2019/2018م، ص**27**.

(6) عزيز سامح إلتر: **المرجع السابق**، ص**244**.

ما يلاحظ عن القلج علي أنه كان طيب القلب من خلال معاملته الإنسانية مع عبيده، وبفضل ذكاءه الفطري ترقى بسرعة حتى أصبح قبطان لسفينة حربية، وما لبث أن حظي بثقة درغوث، حيث عينه في 1556م قائدا على جربة، وبعد وفاة درغوث 1565م[1]، عين واليا على طرابلس، وفي 1568م أصبح صاحب السلطة العليا في مدينة الجزائر متمتعا بلقب بايلرباي، وفي عهده كثفت البحرية الجزائرية نشاطها، حيث كان يهدف إلى تحرير بلاد المغرب من بقايا الإسبان[2].

تمكن من فتح تونس في 5ربيع الأول سنة (977هـ/1569م)[3] كما كان للعلج علي مكان هام في معركة ليبانتو باعتباره أميرالاً في قيادة الأسطول[4] ، توفي في 27 جوان 1587م في القسطنطينية عن عمر يناهز الثمانين[5].

ب) مساهمة العلج علي في تحرير مدينة تونس 1569م: لقد كان أهالي تونس مستائين من ظلم وجور السلطان أحمد، إزاء ذلك طالب أعيان المنطقة العلج علي بالمجيء لإنقاذهم، فكانت المراسلة الأولى عام 1568م، ثم كرر له الطلب في 1569م، مما جعل العلج علي يقرر الزحف إلى تونس[6]،ولهذا الغرض بعث العلج علي رسالة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني يعلمه بالأوضاع السائدة في تونس ورغبته في ضمها قالآ:"لإن أقصى مراد حضرتنا منها ومن كان فيها من رعايا وعلمائها وصلحائها وفقرائها وضعفائها ان يكونوا مصونين ومأمونين بأنفسهم وأموالهم وعيالهم

---

(1) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص233.

(2) حكيمة حدون، خديجة بن رنجة: **مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة الدايات، حروب اليونان أنموذجًا (1821–1829م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف: أمين محرز، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، 2016/2015م، ص09.

(3)ابن المفتي حسن بن رجب شاوش:**تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلماءها** ،جمعها :فارس كعوان ،بيت الحكمة،(د،ط)،الجزائر،2009 ص41.

(4) كوستانزيو برنيا: **المرجع السابق**، ص75.

(5) ايتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، **المرجع السابق**، ص234.

(6) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص90-89.

ومساكنهم ومواطنهم من مضرة العدى وفساد المفسدين في ايام عدالتنا مرفهين مطمئنين مواظبين على الدعاء بالخير لدولتنا الباهية ودوام سلطتنا الزهرة"[1].

في سبتمبر (797هـ/1569م) اتجه العلج علي إلى تونس بجيش يتألف من 5000 جندي مسلح بالبنادق و6000 جندي من القبائل، ولدى وصوله إلى باجة تقابل مع قوات أحمد[2]،وقد وقع الصدام بين الجيشين ،لكن بمجرد بداية المعركة تخلى عساكر تونس عن أحمد مما جعل هذا الأخير يهرب إلى تونس التي أغلقت الباب في وجهه[3] ،وإثر ذلك لجأ إلى الإسبان في حلق الوادي طالبا يد المساعدة لاسترجاع حكمه[4]، وهكذا دخل العلج علي تونس عام 1569م[5]،ولم يجد صعوبة تذكر في احتلالها [6]، بل وجد ترحابا من التونسيين، ونادى في الناس بالأمان فاجتمع إليه وجوه البلد وأخذ البيعة للسلطان سليم الثاني وأعلنت الخطبة بالدعاء له من المنابر وضربت السكة باسمه[7].

عمل العلج علي على تنظيم البلاد وحدد طرق السير، ووضع لها جيشا متكونا من 5000 رجل موزعين على مائتي كتيبة تتكون الواحدة منها من 25 رجلا تسمى الأوجاق[8].

---

(1) مهمة دفتري رقم 10، ص 170، حكم رقم 256، تاريخ 25 شوال 979هـ، ينظر الملحق رقم (07) ص125.

(2) سامح عزيز إلتر: **المرجع السابق**، ص ص 378-379.

(3) نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف:ناصر الدين سعيدوني،جامعة الجزائر، 1999م، ص158.

(4) بيشي رحيمة : **المرجع السابق**، ص131.

(5) Robert Mantran **: L'écho de la bataille de lepante à Constantinople, in Annales Economies** Sociétés Civilisation 28e année, N 2, Mars-Avril 1973, P403.

(6)محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص49.

(7) أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص373.

(8) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص91.

أمضى العلج علي كل الشتاء في تونس، أخضع كل المدن والقرى والمقاطعات تقريبا، بعد أن عين القائدين رمضان[1] وهو علج سرديني ومحمد وهو علج من نابولي على رأس حامية تونس[2]، وعاد العلج علي إلى الجزائر[3].

نجح القائد رمضان في إشاعة الأمن والاستقرار في تونس ونال رضى الأهالي ،حيث أرسل أعيان تونس ومن ضمنهم أبو الطيب رسائل إلى الديوان الهيمايوني [4]أشار فيها إلى حسن واستقامة رمضان في معاملته مع الأهالي وبذله قصارى جهده من أجل اصلاح أمورهم ،وبذلك تمت تزكية تفويضه كقائم مقام عليها [5]، لكن القلعة الحصينة في حلق الوادي بقيت بيد الإسبان، وعدم الاستقرار بقي يسود بعض مناطق القطر التونسي[6].

أما عن ردة فعل إسبانيا من ضم مدينة تونس فقد كانت شديدة عليها، لأنه أصبح باستطاعة العثمانيين التحكم في المضيق الصقلي وتهديد إيطاليا وإسبانيا معا، خاصة أنه بعد احتلال تونس، هجم العثمانيون على قبرص التابعة للبندقية[7].

ج) محاولة العلج علي فتح حلق الوادي

لقد كان فتح تونس ضربة موجعة لإسبانيا، غير أن بقاء حلق الوادي بيد الإسبان يعتبر تهديدا لتونس، لهذا حاول العلج علي فتحها وتطهير السواحل التونسية من الوجود الإسباني[1]، وخلال

---

[1] بعث السلطان سليمان القانون فرما إلى قبائل تونس ومن بينهم أولاد سعيد يطلب منهم الأمتثال لسلطة رمضان الذي عينه علي باشا قائم مقام على تونس ...للمزيد ينظر : مهمة دفتري رقم 10، ص 167 ، حكم رقم 253، 25 شوال 979هـ، الملحق رقم (08)،ص127.

[2] صالح عبّاد: **المرجع السابق**، ص144.

[3] المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص139.

[4] فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص579.

[5]عبد الجليل التميمي : **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر** ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،(د،ط) ، (د.م.ن)،2009م، ص 197. مهمة دفتري رقم12، ص25،541\10\979هـ.

[6] المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص139.

[7] محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص49.

الأشهر الأخيرة من إقامته في تونس أعطى أوامر إلى مامي قورصو لجعل الأسطول في حالة جيدة [2]، حتى يتمكن من الإبحار بمجرد وصوله إلى الجزائر وأعلمه أن القصد من ذلك هو فتح حلق الوادي، بعد حصوله على مساعدات من الباب العالي[3]،حيث سيذهب بنفسه إلى إستانبول لطلب هذه المساعدة[4] .

عندما وصل علج علي إلى الجزائر جهز جيشا يتكون من 19 سفينة منها 7غاليرات و12 غليوطة، فخرج بها إلى البحر وعزم على الذهاب إلى إسطنبول لطلب المساعدة، وفي طريقه أعلن الحرب على السواحل الإيطالية والإسبانية المالطية التي كانت تحركاتها تزعج السلطان العثماني[5]، وكان مع العلج علي ألمع الرياس مصطفى الأرنؤوطي، الرايس جعفر، مامي... وبفضل جهودهم تمكنوا من الإستيلاء على 4 سفن مالطية في الحروب التي خاضوها مع الدول المسيحية في الطريق[6]، وفي تلك الأثناء استجدت التطورات في شرق البحر المتوسط، دفعت بالعثمانيين إلى فرض الحصار على قبرص مما أشغلهم عن إرسال المساعدات إلى علج علي [7]، عندئذ أرسل علج علي أسطوله إلى الجزائر ومعه السفن والأسرى التي استولى عليها، مؤجلا أمر حلق الوادي ليوم آخر[8].

---

[1] نعيمة بوحمشوش: **المرجع السابق**، ص158.

[2] Henri.D. De Grammont **:** Op.cit, P107.

[3] رتيبة زرداني، سعيدة بلهتهات: **الجزائر في عهد العلج علي**، مذكر لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد القادر فكاير، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2016/2015م، ص62.

[4] محمد سي يوسف:**المرجع السابق**، ص92.

[5] رتيبة زرداني، سعيدة بلهتهات: **المرجع السابق**، ص62.

[6] عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص243.

[7] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص133.

[8] عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص244.

وفي رواية أخرى ورد أن التونسيين قد ساعدوا العلج علي في حصار قلعة حلق الوادي مع السفن التي جاءت من الجزائر، غير أن حاكم صقلية فرونسوا فرديناند (François Ferdinand) أنجد القلعة بـ25 غليوطة، إضافة إلى عدد من السفن المالطية مما حمل العلج علي رفع الحصار[1].

المبحث الثاني: التدخل الإسباني في تونس خلال النصف الثاني من القرن 16

أولاً: احتلال المهدية 1551م:

أ) مجريات الحرب:

باحتلال المهدية عام 1550م من قبل درغوث، انزعجت إسبانيا من ذلك فأرسل شارل الخامس رسالة إلى السلطان العثماني يحتج فيها عن هذا العمل واعتبره نقضا للهدنة التي كانت قد أُبرمت بين الطرفين عام 1545م، إلا أن السلطان العثماني كان رده بأن درغوث من الرياس الأحرار لا ينتمي لدولته[2].

من ماي إلى جوان 1550 بدأت التجهيزات لأسطول قوي بقيادة دوريا للهجوم على المهدية، وتوقعا لهذا الهجوم قام درغوث بتحصين المنطقة بالمدافع والبنادق، كما عمل مع نائبه العلج علي بتنظيم عمليات لتشتيت قوات العدو وإشغالها بمناطق أخرى[3].

وفي 22 جوان 1550م اقترب أسطول أندري دوريا من المهدية وفرض عليها حصارا صمد خلاله سكانها مدة 80 يوم، وفي 10 سبتمبر 1550م اقتحم المدينة[4]، ولابد أن نذكر أن الحامية العثمانية بقيادة عيسى أحد القواد الموالين لدرغوث قد استطاع بالاستعانة بالمواطنين من تقوية خط المواجهة العسكرية بقلعة المهدية التي صمدت لهجمات الإسبان أكثر من شهر[5]، كما نشير إلى أنه

---

(1) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص134.

(2) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص66.

(3) المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص144.

(4) رابحة محمد خيضر: **المرجع السابق**، ص119.

(5) عبد الجليل التميمي: الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني،**المرجع السابق**، ص76.

أثناء هذا الحصار بعث درغوث 4 سفن من نوع غليوطة إلى مراد آغا في تاجوراء طالبا عونه، وقد هاجم هذه السفن جيوفاني مورت (Moret) (قرصان من نيس)، حيث قتل العديد من الأشخاص مما أدى إلى انسحابهم [1].

وفي ظل هذه الظروف استسلمت المهدية، حيث أستشهد فيها ألف ومائتان من المسلمين، خلال فترة محاصرتها، كما تم أسر تسعة آلاف آخرين[2].

بعد دخول الإسبان للمهدية، رحل الدون خوان دوفيجا (Don Juan D'Autriche) [3] عنها تاركا أخيه دون الفار (Dan alvar) حاكما عليها ومعه 1500 رجل مدرب مع تموينهم[4]، غير أنه وبسبب عدم تحمل العبء الكبير في نفقات تحصينات المدينة والحامية الموجودة بها، أمر الملك الإسباني شارلكان في سنة 1553م القائد دون فرناند دي أكينا (Don Fernand D'Acuna)بتدمير المدينة و تحصيناتها[5].

وبحلول عام 1554م تخلى الإسبان عن المهدية بعدما دمروا حصونها[6].

---

[1] أتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي الى سنة 1911م، **المرجع السابق**، ص207.

[2] البارون ألفونص روسو: **المرجع السابق**، ص94.

[3] **دون خوان**: هو ابن غير شرعي لشارل الخامس، ولد سنة 1545م، عينه أخاه فيليب الثاني على رأس قيادة القوات التي أوكل إليها القضاء على ثورة مسلمي غرناطة سنة 1570م، تولى قيادة الجيش الإسباني لاحتلال تونس لكنه لم يظفر بها، توفي سنة 1578م.للمزيد ينظر: عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الاسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص ص 272-273.

[4] طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص289.

[5] البارون ألفونص روسو: **المرجع السابق**، ص94.

[6] Zoé Courdier :**Les Batailles entre chrétiens et Ottomans dans la Méditerranée du XVI siècle**, L'étude d'une iniconographie, 1535-1575, Diplôme national de master spécialité cultures de l'écrit et de l'image, le directeur : Dominique Valerian universités – Lyon2, 2013, P52.

ب)تداعيات سقوط المهدية:

بعد استيلاء الإسبان على المهدية حاصروا جربة، ولم يكن درغوث رايس في وضع يمكنه من مواجهة القوات الإسبانية هناك، فقرر ترك معقله واستطاع بمقدرة فائقة اختراق الحصار الإسباني واللجوء إلى الدولة العثمانية[1].

وبسقوط المهدية استفحل تقدم الإسبان بالأراضي التونسية، فزاد اهتمام الدولة العثمانية بهذه المنطقة ودفع السلطان سليمان القانوني إلى اعتبار احتلال المهدية انتهاكا لشروط المعاهدة، وهذا ما حتم توجيه الأسطول العثماني لاسترجاع المهدية ووضع حد للوجود المالطي[2].

التحق درغوث بالأسطول العثماني الذي كان يقوده الأميرال سنان باشا ونائبه صالح رايس وجرى بينهم اجتماع لتقرير خطة العمل فقام درغوث بمهاجمة اوغستا (Augusta) وغيرها من المراكز في صقلية[3]،حيث تم فرض حصار على مالطا في 18 تموز لكنه لم يكن موفقا، ليتوجه بعد ذلك الأسطول العثماني إلى جزيرة قوزو بناءً على اقتراح درغوث، واستطاعوا أن يحصلوا على 5000 أسير منها[4].

وفي أوت 1551م وصل الأسطول إلى طرابلس الغرب التي كانت قاعدة فرسان مالطة منذ 1530م، وبعد حصار دام تسعة أيام استسلمت القاعدة، فأمام عدم التكافؤ الكبير بين القوى أُجبر المرتزقة الكالابريون والصقليون وعددهم 650 مقاتلا أن يقبلوا الاستسلام[5].

ثانيًا: محاولة احتلال جربة 1560م

---

(1) فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص558.

(2) عبد الجليل التميمي: الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، **المرجع السابق**، ص76.

(3) المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص115.

(4) رابحة محمد خيضر: **المرجع السابق**، ص120.

(5) المنور مروش: **المرجع السابق**،ج2، ص115.

أ) تغيير الوجهة من طرابلس الغرب إلى جربة:

كان درغوث قد فرض سيطرته على جربة منذ (966هـ/1558م) وبعد مدة عين عليها غازي مصطفى التركي، وأخذ بعد ذلك يواجه القراصنة الأوروبيين في موانئ إيطاليا نفسها مثل ريجيو وغيرها[1].

ولا يزال درغوث ينتصر على أعداء المسلمين مما أثار حفيظة الأوروبيين أمثال فيليب الخامس الذي أقسم بأخذ الثأر من درغوث وأمر أسطوله بمتابعته أينما كان[2].

وهذا ما ترك فرسان القديس يوحنا يفكرون في الاستيلاء على طرابلس الغرب مرة ثانية بتحالف الإسبان وقوى أوروبية أخرى معهم، غير أن الحملة تفككت وأخذت كل مجموعة تتلقى أوامر من قائدها ومع ذلك استطاعت أن تصل إلى جربة[3]، وتوقفت عند روكيتا (Roccetta) للتزود بالمياه وهناك دخلت في أول صدام مع العرب والأتراك الذين يحمون الجزيرة ويدافعون عنها[4].

أخذ درغوث وجنوده في مضايقة الجنود المسيحيين الذين كانوا يحاولون النزول إلى البر للحصول على الماء، وهذه الاشتباكات قد كلفت الجيش المسيحي بضعة مئات من الموتى، فقرر الأسطول المسيحي العدول عن فكرة الهجوم على طرابلس وتوجيه الهجوم مباشرة إلى جربة[5].

ب)مجريات الحرب في جربة:

بعد قرار توجيه الغزو ضد جزيرة جربة، أقدم النصارى بعرض صداقتهم على بعض شيوخ المحاميد، فخرطوهم في خدمتهم مقابل معاش دفع لهم للعمل ضد درغوث مع 400 أو500 من

---

(1) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص123.

(2) عبد الحميد بن زيان بن أشنهو: **المرجع السابق**، ص156.

(3) رابحة محمد خيضر: **المرجع السابق**، ص123.

(4) ايتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي الى 1911م، **المرجع السابق**، ص223.

(5) كوستانزيو برنيا: **المرجع السابق**، ص61.

فرسانهم شريطة أن يعهد إليهم بحراسة ممر جربة[1]، وقد سلم الشيخ مسعود شيخ جربة قلعة برج الكبير قرب حومة السوق إلى القائد الإسباني ،وأعلن تبعيته له ملتزما في نفس الوقت بدفع اداء سنوي [2].

وقد بذل القائد الإسباني ميدينا سيلي (Medina celi) وقتا في إقامة حكومة عملية في جربة وبناء حصن صغير لحامية كانت ستقام هناك لتأمين السيطرة الإسبانية على الجزيرة[3] في هذا الوقت كان درغوث يعمل لمواجهة هذا الظرف وكلف العلج علي فرطاس بالسفر إلى القسطنطينية وطلب النجدة العاجلة[4]، حيث أرسل السلطان أسطولا يضم 120 سفينة حربية بقيادة بيالي باشا إلى المنطقة وفي الطريق أغار الأسطول العثماني على بعض الأماكن في جزيرة مالطا ودمرها ،ثم توجه إلى جربة[5]،ويؤكد بروديل أن الأسطول قطع المسافة بين استانبول والسواحل الطرابلسية خلال 20 يوما وهذه المدة قصيرة جدا وغير مألوفة تماما[6].

وصل بيالي باشا إلى جربة على رأس قطعة قوية من الأسطول التركي بطريقة غير منتظرة[7] ، وكان يعزز قيادته خبرة قلج علي باشا فضلا عن درغوث ،وقد باغث الأسطول المسيحي في الجزيرة والذي لم تكن الفرصة سامحة لتنظيم انسحابه أو مقاومته ومع هذا دارت بعض المعارك الحربية وكانت غير متكافئة [8]، حيث جرت معركة ضاربة بين الطرفين ،تعرض فيها الأسطول الصليبي إلى هزيمة قاسية إذ غرقت 60 سفينة من سفنه وقتل من أفراده 20 ألفا ،ثم حاصرت القوات العثمانية قلعة

---

(1) شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص116.

(2) عبد الجليل التميمي: الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، **المرجع السابق**، ص84.

(3) جون ب،وولف: **المرجع السابق**، ص74.

(4) كوستانزيو برنيا: **المرجع السابق**، ص62.

(5) فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص560.

(6) عبد الجليل التميمي: الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، **المرجع السابق**، ص84.

(7) جون ب، وولف: **المرجع السابق**، ص75.

(8) عبد الجليل التميمي: الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، **المرجع السابق**، ص ص84،85.

جربة ، واجتاحتها بعد حصار دام 80يوما وقتل معظم المدافعين عن القلعة [1] ،وقد استماتت الحامية الإسبانية بشجاعة مؤلمة في وصول النجدة ،ولكنها استسلمت بعد أن نفذ الماء والطعام ،وذلك في شهر جويلية سنة 1560[2].

ج) نتائج الحملة على جربة 1560م:

1- إلحاق هزيمة قاسية بالجنود المسيحيين ورئيسهم دون ألفاردي سانت.

2- إقامة برج من جماجم الأعداء قرب البرج الكبير[3] ارتفاعه من عشرين إلى ثلاثين قدما وقاعدته زادت عن مائة وثلاثين قدما، سمي ببرج الجماجم، كما أقام الرايس درغوث إثر انتصاره على الإسبان الأفراح، حيث عرف آنذاك بالقائد الذي لا يقهر[4].

3- أن انتصار العثمانيين على جربة أكد تفوقهم البحري والعسكري.

4- أن هذا الانتصار توج عصر السلطان سليمان القانوني الذي أصبح يمثل أزهى العصور العثمانية[5].

5- نستطيع القول أن هذا الفشل مس بسمعة إسبانيا بل وبأمنها أيضا.

6- شجع الموريسكيين بالاعتماد على طلب المساعدة من الشرق في نزاعهم مع مضطهديهم الإسبان[6].

---

[1] فاضل بيات: **المرجع السابق**،560.

[2] جون ب، وولف: **المرجع السابق**،ص75.

[3] A. Brulard: **Monographie de l'ile de Djerba**, Besançon Typ. & Lith . CH. Delagrange ,Villefranche-sur-Mer, 1885, P41.

[4] محمود علي عامر، محمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث"الغرب الأقصى– ليبية**، (د.د.ن)،(د،ط)، دمشق، (د.س.ن)، ص172.

[5] عبد الجليل التميمي:الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، **المرجع السابق**، ص ص85-86.

[6] جون ب،وولف: **المرجع السابق**، ص75.

7- لم تنتهي مشاكل إسبانيا البحرية في حوض المتوسط بهزيمة جربة، فقد فاجأ درغوث الأسطول الإسباني وأغرق عددا من السفن، لذلك فإن البحرية الإسبانية لم تستطع القيام مرة ثانية باستعراض قوتها بشكل جدي إلا في 1564م[1].

ثالثًا: حملة الدون خوان النمساوي على تونس 1573م

أ) انعكاسات معركة ليبانت:

لقد كان التحالف المسيحي بين البندقية وإسبانيا وبعض الامارات الإيطالية[2] الذي كانت مدته ثلاثة سنوات (1571-1573م) يشكل تهديدا لكل من إيالة الجزائر وتونس وطرابلس ، وهو ما جعل السلطان العثماني يندد في مراسلاته بوجوب الاستعداد والانتباه من أن يلحق الضرر بهذه المناطق[3] حيث جاء في رسالته المؤرخة يوم 17 محرم 979\11جوان1571 الموجهة إلى بايلرباي طرابلس الغرب يخبره فيها بأن الحلفاء المسيحيين اتحدوا للهجوم على قلعة تونس ،فلقد توجب اعداد الأسطول العثماني وأرساله إلى المنطقة المذكورة على وجه السرعة ،و عليك بحفظ وحراسة المملكة والعمل على تعمير وتحضير كل اللوازم للتصدي للكفار والأعداء[4] .

و في 7 اكتوبر 1571م، جرت في خليج ليبانتو[5] إحدى أكبر المعارك في تاريخ البشرية إذ تمكن الأسطول الموحد للدول الكاثوليكية من تطويق وتحطيم الأسطول العثماني[6]، بقيادة الدون

---

(1) الشافعي درويش: علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، **المرجع السابق**، ص94.

(2) محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص49.

(3) نعيمة بوحمشوش: **المرجع السابق**، ص ص159،160.

(4) عبد الجليل التميمي : دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص 189،مهمة دفتري رقم 10، ص17،4\1\979هـ.

(5) خليج ليبانتو: يعرف عند الأتراك باسم اينختي، وهي مدينة تقع شمال المضيق الذي يمتد في البحر الأيوني إلى خليج كورنيت والذي أصبح منذ العصور الوسطى يعرف بخليج ليبانت.. ينظر: إلهام يوسف، ولاء علي صقر: **المرجع السابق**، ص411.

(6) Odile Wattel de Groizant, Gérard. A. Montifroy **: Europe entre Orient et Occident du mythe à la géopolitique** ,Editions l'Age d'Homme, Suise, 2007, P112.

خوان أخ فيليب الثاني، وقد أثر ذلك في نفسية العثمانيين بشكل خاص[1]، حيث قتل أكثر من 30 ألف من الجنود العثمانيين، إضافة إلى الأسرى الذين قطعت رؤوسهم، وأخذت 130 سفينة عثمانية[2].

ومن نتائج هذه المعركة:

1- شكل هذا النصر ضربة قوية للتفوق العسكري في حوض البحر المتوسط، حيث أدى إضعاف النشاط البحري الإسلامي في غربي حوض البحر الأبيض المتوسط إلى دفع هذا الانتصار الإسباني والإيطالي للتفكير بمشاريع مستقبلية لمهاجمة المغرب العربي والعمل على طرد العثمانيين[3].

2- توقف النفوذ العثماني في الحوض الغربي للمتوسط، واحتفاظ الإسبان ببعض الجيوب الساحلية في شمال إفريقية وبقاء جزيرة مالطا بيد فرسان القديس يوحنا [4].

3- بروز قلج علي وتفانيه في الجهاد والغزو، وذلك من خلال تقديمه خدمات جليلة للباب العالي ، لذلك تم استدعاؤه من قبل السلطان وتعيينه أميرالا للأسطول [5]. .

4- شجعت هذه الخسارة دون خوان على محاولة استرجاع مناطق كانت فقدتها إسبانيا في شمال إفريقيا وكانت بدايته بتونس مفتاح الحوض الشرقي للمتوسط[6].

ب)توجه الحملة الإسبانية إلى تونس:

---

(1) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص244.

(2) رتيبة زرداني، سعيدة بلهتهات: **المرجع السابق**، ص76.

(3) إلهام يوسف، ولاء علي صقر: **المرجع السابق**، ص41.

(4) صلاح العقاد: **المرجع السابق**، ص21.

(5) عبد الجليل التميمي :دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص 195. مهمة دفتري رقم10 ،ص571، 8\11\579هـ.

(6) نعيمة بوحمشوش: **المرجع السابق**، ص161.

خرج الدون خوان النمساوي في7أكتوبر 1573 ليقود حملة بحرية لاحتلال تونس تشبه الحملة التي قادها أبوه عليها سنة 1535م،حيث كانت الحملة ضخمة تتكون من حوالي 138 سفينة وبارجة حربية[1] وعدد كبير من سفن النقل والغليوطات[2] وكان الجيش يتكون من 13 ألف إيطالي و 9ألاف إسباني و5 ألاف ألماني وتحركت تلك القوى بخطى سريعة باتجاه مدينة تونس[3] ،ولما بلغ الأسطول المسيحي حلق الوادي لم يجدوا قوات تعترض طريقهم ،فتقدموا إثر ذلك نحو مدينة تونس بقيادة سانتا كروز (Santa Gruz) فهاجمها واستولى عليها دون مقاومة إذ لم يكن بمقدور أفراد حاميتها البالغ عددهم نحو2000 الذين كانوا تحت قيادة رمضان باشا من الوقوف في وجه القوات المسيحية الضخمة[4].

ج) **استيلاء دون خوان على تونس:** بعدما استولى الإسبان على تونس، فرت الحامية التركية من تونس العاصمة إلى الحمامات ونجت من مطاردة الدون خوان وجنوده هناك، ووجدت أن ملاذها مدينة القيروان التي كانت محكومة بالقائد التركي حيدر باشا[5]، وبينما كانوا في طريقهم إليها لاحقتهم القوات الإسبانية ووقع بين الطرفين قتال شديد تمكنت القوات الإسلامية من الانتصار على الأعداء، ولما قفل الإسبان عائدين إلى تونس منهزمين[6]، رجعوا إلى الحمامات فحاصروها وأخذوها

---

(1) الشافعي درويش: علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، **المرجع السابق**، ص125.

(2) صالح عباد: **المرجع السابق**، ص35.

(3) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص246.

(4) عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الإسباني في حوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر،**المرجع السابق**، ص245.

(5) محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، **المرجع السابق**، ص729.

(6) عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الإسباني في حوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص246.

عنوة وقتلوا من قدروا عليه من الرجال وفر الباقون وسبيت أولادهم وحريمهم ونهبت أموالهم وفعلوا بهم الفاقرة[1].

قام الجنود الإسبان بتخريب شوارع تونس، حيث ظلوا لأيام عدة ينشبون المنازل ويحفرون الساحات والسطوح، حتى لم يبق بيت سليماني في المدينة، وحطموا الأثاث ومعالم الزينة والزخرفة وباعوا سجاجيد القيروان والأقمشة والأواني الفاخرة بأبخس الأثمان[2]،ولم يكتفوا بهذا بل تجرأوا على جامع الزيتونة بربط خيولهم هناك ، ورميهم للكتب العلمية في الطرقات تدوسها خيول عساكرهم ، فلقد عانى سكان تونس من ظلم الإسبان حتى خرجوا إلى الجبال والغابات والبوادي ونالهم الجوع والعطش [3].

لما ظفر دون خوان بتونس واستقر له الأمر نهائيا قام بتنصيب مولاي أحمد الحفصي سلطانا عليها وفرض عليه شروط مذلة وقاسية وجعله حاكما تابعا لعرش الملك الإسباني، أمام هذه الوضعية المخزية تنازل مولاي أحمد عن الملك لأخيه محمد الذي قبل أن يخضع للإسبان وشاركه في تولي السلطة سيربيوني غابريال (Gabriel Serbelloni) [4].

قام الدون خوان بتحصين قلعة حلق الواد وقلعة تونس بدلا من هدمهما من أجل تعزيز مراكزه على السواحل الإفريقية، فلقد بنى قلعة الباستيون خارج باب البحر من مدينة تونس على شكل مدينة أروبية أطلق عليها اسم شيكلي عمرها وأسكنها الإسبان، [5]، وهي تحتوي على أحياء متميزة للإيطاليين والإسبانيين وبناءات من الخشب وآبار مياه ومخازن للمؤون ومطاحن للقمح ومعامل للحدادين ويضاف إلى هذا وجود المستشفى و الصيدلية والكنيسة, وهذه القلعة تبعد حوالي 150

---

(1) محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص199.

(2) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص247.

(3) محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (التتمة)**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1931م، ج2، ص154.

(4) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص ص 295-296.

(5) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص141.

أو200من سور المدينة وهي أكبر من قلعة حلق الوادي وبها 6أبراج[1] ،وكان الدون خوان يطمح لتنصيب نفسه ملكا على هذه القلعة وهو ما أدخل الرعب في نفسية الملك

فيليب الثاني (philipe II)[2] فألح في طلب أخيه [3]الذي خاف أن ينفرد الدون خوان بحكم تونس ويجعلها مملكته الخاصة لذلك وجه له الأوامر بالعودة فورا إلى إسبانيا فما كان من الدون خوان إلا تلبية الطلب فورا والعودة إلى إسبانيا تاركا وراءه 8000 جندي يقودهم غبريال سربيوني للمحافظة على المواقع المحتلة[4].

المبحث الثالث: التحرير العثماني لتونس وتداعياته

أولاً: الاستعدادات العثمانية والإسبانية

أ) الاستعدادات العثمانية

استاء السلطان سليم الثاني مما حدث في تونس جراء الغزو الإسباني فخاطب وزراءه بقوله: "من يقوم منكم بهذا الأمر، ويتقدم لنصرة الإسلام وإذلال عبدة الصليب والأصنام"، فبادر الوزير الأعظم سنان باشا، فتم قبوله والثناء عليه[5]، وإثر ذلك أصدر السلطان سليم الثاني أوامره إلى وزيره سنان باشا وقبودانه قلج علي بالاستعداد للتوجه إلى تونس لفتحها نهائيا وإعادة نفوذ الدولة العثمانية

---

[1] عبد الجليل التميمي : الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني،**المرجع السابق**، ص ص103-104.

[2] فيليب الثاني: (1527-1598م): ملك نابولي وحاكم هولندا، ثم ملك إسبانيا (1556-1598م) بعد تنازل أبيه شارل كونت. ينظر: نجيب دكاني: **المرجع السابق**، ص126.

[3] رحيمة بيشي :**المرجع السابق**، ص141 .

[4] طاهر تومي :**المرجع السابق**، ص296.

[5] محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، مج2، ص71.

إليها[1]، كما قام بإرسال فرمانات إلى الحكام العثمانيين مخبرا إياهم بقرار الحملة الرسمية على تونس وناشدهم بتقديم المساعدة مهما كان نوعها[2].

وهذه نماذج من رسائل السلطان العثماني:

- رسالة موجهة إلى حاكم تونس: جاء فيها تعيين القائد رمضان أمير أمراء على الجزائر، وأنه من أجل فتح قلعة حلق الواد تم إعداد 300 سفينة مشحونة بالعساكر والجنود، وأنه تم تعيين سنان باشا قائد لهذه الحملة، وسيوجه سائر القادة وأمراء الإنكشارية والمحاربين المتطوعين أوائل محرم 982هـ، وطلب منه إرسال العساكر والذخيرة[3].
- رسالة موجهة إلى أحمد باشا حاكم الإيالة الجزائرية: يخبره فيها بتعيينه لرمضان باشا على رأس الحكم بالجزائر بدلا منه ،كمكافأة له على بلاءه الحسن بتونس، وفي نفس الوقت يطلب منه التوجه بقواته البحرية إلى تونس والمشاركة في فتحها وأن يكون تحت إمرة علج علي[4]
- رسالة موجهة إلى القائد رمضان باشا: أعلمه فيها عن التجهيزات المعدة لتحرير حلق الواد، وأمره بتجهيز عساكر الجزائر من الفرسان والمشاة بكامل عدتهم وعددهم والتفاهم مع أمير أمراء كل من طرابلس وتونس[5].

إثر ذلك قام القائد رمضان باشا بقيادة 3000 انكشاري وآلاف المتطوعين من أهالي تونس وبسكرة، قسنطينة، عنابة، بنزرت والقيروان، وتوجه بهم إلى تونس[6]،كما قاد مصطفى باشا

---

[1] نبيل عبد الحي رضوان: **المرجع السابق**، ص287.

[2] عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، المرجع السابق**، ص105.

[3] عبد الجليل التميمي:دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص224. مهمة دفتري رقم 24، ص59، 981/12/5هـ.

[4] طاهر تومي: **المرجع السابق، ص302** .

[5] عبد الجليل التميمي :دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص225. مهمة دفتري رقم 24، ص60، 981/11/5هـ.

[6] المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص ص 159-160.

بكلربكي طرابلس الغرب جيشا كثيفا[1]، يضم 4000 رجل وشيوخ جزيرة جربة والقيروان بمعية 6000 فارس و2000 جندي من قسنطينة وعنابة وقد انضم إليهم عدد كبير من الأهالي وتوجه بهم إلى تونس[2].

كما أبحر الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا والعلج علي إلى تونس يوم 14 ماي 1574م[3]، ولقد اختلفت المصادر العربية في عدد قطع الأسطول، فعلى حسب محمود مقديش عدد السفن وصل إلى 1500سفينة في قوله: "فقد شحنوا 200 غراب وعدة كثيرة من شونات المراكب الكبار لحمل الأثقال والمدافع وكان عدة السفن 1500 سفينة" [4]بينما أورد لنا علي بن محمد التمقروتي أن عدد السفن بلغ 450 سفينة بقوله : "خرج الأسطول العثماني في 450 سفينة من القسطنطينية وسائر إفريقية فيها مائة ألف مقاتل وأزيد"[5]، أما المصادر الأجنبية على حسب دراسة طاهر تومي تذكر أرقام مختلفة تماما عما ذكرته المصادر العربية، فقد ذكر هايدو أن عدد قطع الأسطول العثماني 250 سفينة حربية من نوع غاليرة و40سفينة لنقل الجنود ،أما برودال أورد أن عدد قطع الأسطول كانت 250 سفينة، والملاحظ أن المصادر والمراجع الأجنبية تقاربت في إعطاء العدد وهو ما نأخذ به، وخاصة أن المصادر الأجنبية غالبا ما تحاول تضخيم مثل هذه الأحداث لإعطاء مصداقية أكبر للجانب الأوروبي، أما في هذه الحالة لم تستطع إعطاء أكثر من هذه الأرقام[6]، وخلال سير الأسطول العثماني إلى تونس استولى في طريقه على سفينة مسيحية وأخذ مابها من غنائم، ومن هناك قطع الأسطول عرض البحر في 5 أيام، وفي هذا الوقت وصل حيدر باشا وقوة من الجزائريين بقيادة رمضان باشا، وقوة من طرابلس بقيادة مصطفى باشا ومتطوعون من

---

(1) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي: **البرق اليماني في الفتح العثماني**، (د.د.ن)،(د،ط)، الرياض، 1967م، ص446.

(2) نعيمة بوحمشوش: **المرجع السابق**، ص167.

(3) فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص580.

(4) محمود مقديش :**المرجع السابق**،مج2 ،ص71.

(5) علي بن محمد التمقروتي :**المصدر السابق**، ص42.

(6) طاهر تومي : **المرجع السابق**، ص ص300-301.

مصر[1]،إلى تونس قبل الأسطول العثماني،وقاموا بقطع طرق التموين على الإسبان واستولوا على عيون الماء والآبار.. ،و في 12جويلية 1574 وصل الأسطول العثماني إلى تونس، وأنزل قواته بالمنطقة التي تمركزت بها القوات العثمانية التي سبقته هناك والجدير بالذكر أنه عند وصول القوات إلى تونس لقيت ترحابا ومساعدة كبيرة من الأهالي كمنح المواد الغذائية والجمال والحمير[2]،وفي اليوم الموالي وجه القائد سنان باشا الجيوش القادمة من البر بمحاصرة تونس ، وجعل حيدر شيخ القيروان قائد للعمليات ،في حين كلف أحمد عرب باشا والعلج علي بشن الهجوم على حلق الوادي ، فقد عمل سنان باشا على تنسيق الجهود بين القوات البرية والبحرية ،وضبط الخطط اللازمة لمهاجمة حلق الوادي وتونس، قسم يحاصر تونس وقسم يهاجم حلق الواد، لتبدأ المعارك يوم 17جويلية [3].

ب)الاستعدادات الإسبانية

عندما علم الكونت سيربيوني الذي كان يقاسم محمد الحفصي حكم تونس بنزول الجيش العثماني إلى تونس قام بإغاثة النقاط الإسبانية الأكثر تعرضا للتهديد، فأمر بإجلاء قواته عن مدينة بنزرت ودفع بحاميتها إلى حلق الواد[4].

كما تمت مراسلات بين الدون خوان والدون غارسيا دي توليدو (Garcia de Toledo) نائب ملك نابولي، اللذان تبادلا الآراء حول الأوضاع في تونس وقد اقترح الأخير تحطيم حصني تونس وشيكلي الواقع في رأس قرطاج[5].

أشرف سيربيوني على تنظيم الدفاعات، وكانت موزعة كمايلي:

---

[1] نبيل عبد الحي رضوان: **المرجع السابق**، ص287.

[2] محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص155.

[3] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص149.

[4] البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص ص104-105.

[5] عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الإسبان في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص250.

- حصن حلق الوادي: تحت قيادة ديبور توكاريرو (Peitro de part de Cariero) ومعه 4 كتائب عسكرية من الإسبان و5 من الإيطاليين.
- حصن الباستيون :بقيادة الدون زاموغيرا (G.De.Zamogurra)[1].
- حصن باب البحر :بقيادة سيربوني ومعه ألف جندي إسباني وإيطالي .

وبتاريخ 29 ماي 1574م وصلت القوات من إيطاليا إلى حلق الواد، ونقل سيربيوني المرضى والعاجزين على حمل السلاح من تونس إلى إيطاليا لأنهم يشكلون عبئا في مثل هذه الظروف[2].

فلقد سعت إسبانيا في الحال للقيام برد فعل سريع للمحافظة على تونس غير أنها لم تقم بأي نشاط هام وحاسم وذلك لأسباب مالية وقيادية وعامل الوقت[3].

ثانيًا: تحرير حلق الواد وتونس

أ) تحرير حلق الواد:

أرست العساكر العثمانية بمرسى حلق الوادي، ونصبت أوطاق العلج علي وغيره من الكبراء وأنزلوا المدافع الكبار، وشرعوا يقتربون قليلا قليلا إلى القلعة ويبنون المتاريس ويستترون بها ويحفرون الخنادق فينزلون فيها وأخذوا يتقدمون على هذا الأسلوب إلى أن وصلوا حلق الوادي[4]، ولقد أبدى أحمد عراب فعالية ليس فقط كونه كقائد وإنما كمقاتل كذلك حيث دخل غمار المعركة مثل الجندي العادي وساهم في بناء المتاريس ،كما أبدى العلج علي هو الآخر دور فعال في الهجوم على حلق الوادي فقد ساهم كثيرا في تقدم الحصار في كل مكان ،يوجه ويشجع الرجال

---

(1) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص302.

(2) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص154.

(3) عبد الجليل التميمي: الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، **المرجع السابق**، ص105.

(4) محمود مقديش: **المرجع السابق**،مج2، ص73.

بأقواله وأفعاله[1]،فقد قامت قوات المسلمين بتضييق الحصار على حلق الوادي، حيث يقول ابن أبي الضياف :"وحاصر قلج علي باشا حلق الوادي ووالى عليه القتال إلى أن أخذوه عنوة" [2].

وشارك في هذا الحصار الجيش الجزائري بقيادة رمضان بـ3000 مقاتل وأهالي تونس، بسكرة، قسنطينة وعنابة والقيروان[3]. واستمر الحصار في حلق الوادي وكانت المعارك بين الإسبانيين والعثمانيين عنيفة[4]، وعندما طال الحصار بدون نتيجة قام الأتراك بردم الخندق بالصوف والحطب والرمال والرصاص حتى يتغلبوا على الماء ويعبروا الخندق[5]. وبعدما تمت الاستعدادات الضرورية، بدأ القصف المدفعي الإسلامي في يوم 21 جويلية1574 انطلاقا من الساحل مما أدى إلى هدم أجزاء كبيرة من الأسوار، ونفذت القوات المحاصرة شيئا فشيئا إلى أن بلغتها[6].

وبعد قصف دام حوالي شهر كامل، أحدث العثمانيون بعده ثغرة في الحصن[7]، وذلك يوم 2 جمادى الأولى 982هـ/ 20 أوت 1574، وتم الاستيلاء عليها نهائيا يوم 23 أوت1574[8]، وبعد هجوم دام يومين من الاستيلاء على حلق الوادي أباد العثمانيون المدافعين عن القلعة حتى آخر رجل فيهم، وأعدم جميع الأسرى بمن فيهم المرضى في المستشفيات انتقاما لأرواح المسلمين الذين قتلوا، كما استولى العثمانيون على 200 مدفع وأكثر من 30 راية[9]، وغنموا جميع ما بها من ذخائر

---

(1) عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الإسباني في حوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص252.

(2) رتيبة زرداني، سعيدة بلهتهات: **المرجع السابق**، ص85.

(3) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص168.

(4) نعيمة بوحمشوش: **المرجع السابق**، ص168.

(5) محمد المطوي العروسي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، **المرجع السابق**، ص ص 732-733.

(6) عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص168.

(7) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص307.

(8) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص156.

(9) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص254.

وعدة وعتاد[1]. غير أن العثمانيين احتفظوا بـ300 شخص إسباني لطلب فديتهم بالأموال الكثيرة أو مبادلتهم بالأسرى المسلمين الموجودين في يد المسيحيين[2]، ونسفت قلعة حلق الوادي للحيلولة دون وقوعها بأيدي الإسبان مرة أخرى [3].

ب)تحرير تونس:

أرسل سنان باشا إلى تونس قوة عسكرية تقدر بـ1000 رجل على رأسهم مصطفى باشا وحيدر باشا، وأرسل معهم إبراهيم بك من صنجاق مصر ومحمود بك من صنجاق قبرص، و1000 من العساكر مزودين بالمدافع[4].

وتوجهوا في الحال إلى تونس وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وناوشوها بالقتال من كل جهاتها[5].

واجهت القوات العثمانية الدفاعات الإسبانية التي قدرت بـ30ألف وتمكنت من هزيمتها، حيث خسر الإسبان 2000 رجل بين قتلى وجرحى ومدافعين[6]، وأمام هذه القوة للجيش العثماني رأى كل من السلطان محمد والقائد الإسباني ترك المدينة والتوجه إلى حصن الباستيون الذي تحصنا به بعد أن زوداه بالمدافع والطعام والماء، فدخل العثمانيون تونس دون مقاومة وحصنوها[7].

---

(1) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص24.

(2) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص156.

(3) فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص581.

(4) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص155.

(5) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص211.

(6) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص151.

(7) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص156.

بعث العثمانيون يخبرون الوزير سنان باشا بما وقع لهم ويطلبون منه المدد بالإغاثة لاقتحام حصن الباستيون [1]، فأرسل إلى نصرتهم القلج علي بطائفة من العساكر، غير أن القلج علي واجه صعوبة في التوغل لحصن الباستيون، فطلب عسكر آخر وعدة، فأرسل سنان باشا إليه 1000 يكنجري مع علي آغا سلحدار[2] الباب العالي و8 مدافع[3].

كان الكفرة ومن معهم من المرتدين كثيرين ما بين فارس وراجل، كما جاءت لنصرتهم طوائف من العربان وخرجوا من قلعتهم مرارا ومات من الفريقين خلق كثير[4].

وإثر ذلك اجتمع العثمانيون بقلب واحد لحصار هذا الحصن وضيقوا على أهله من كل جهة[5]، حيث باشر سنان باشا الحرب بنفسه كواحد من الجند، فأمر هذا الأخير بعمل متراس يشرف منه على قتال من في البستيون، كما نجده قد نقل الحجارة والتراب على ظهره، وشدد الحصار على البستيون حتى استطاع فتحه[6]، وبطرد الإسبان منه انتهى العهد الحفصي[7]،و أصبح القطر التونسي بعد ذلك (982هـ/1574م) ولاية عثمانية[8]. واثر ذلك أرسل سنان باشا إلى السلطان العثماني رسالة يعلمه فيها باتمام فتح قلعة حلق الوادي وتونس وهدمهما ،وردا على هذه الرسالة أمر السلطان بتتبع الأعداء في الأطراف المذكورة والتجسس عليهم وعدم التساهل في ذلك[9]

---

[1] محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص212.

[2] **سلحدار**: لفظ فارسي معناه صانع الأسلحة غير أنه في نهاية العصر المملوكي أصبح يعني المسؤول عن أماكن حفظ السلاح في الدار السلطانية... للمزيد ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1996م، ص256.

[3] محمود مقديش: **المرجع السابق**، مج2، ص75.

[4] محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص213.

[5] أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص276.

[6] محمد خير فلاحة: **المرجع السابق**، ص54.

[7] حسن محمد جوهر: **تونس**، دار المعارف،(د،ط)، القاهرة، 1961م، ص46.

[8] إلهام يوسف، ولاء علي صقر: **المرجع السابق**، ص412.

[9] عبد الجليل التميمي: دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق** ،**ص 230**. مهمة دفتري رقم26 ص288 ،15 /**7** /**982**هـ.

ثالثًا: انعكاسات الفتح العثماني لتونس

أ) الأطماع الأوروبية والحفصية لاسترجاع تونس:

بسقوط الباستيون سقطت الدولة الحفصية نهائيا، وخرج الإسبان من تونس إلى الأبد وأصبحت المنطقة جزءا من الدولة العثمانية[1].

كانت أوروبا في دهشتها تنتظر رد فعل إسباني سريع ولكن فيليب الثاني كان يختلف عن شارل الخامس، وكان من أولئك الذين يستسلمون حين يكون الحظ في غير جانبهم[2]، وهذا راجع إلى شخصيته التي تختلف عن شخصية والده شارلكان[3]، وكذلك يعود إلى الضائقة المالية التي كانت تعاني منها إسبانيا، كل هذا يفسر انصراف فيليب الثاني عن البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقية ورغبته في وضع حد للصراع مع العثمانيين ولم يدّخر وسعا لذلك سواء بالمال أو الوعود[4]، فاتجهت أنظاره إلى عرش فرنسا وبريطانيا[5].

غير أنه كانت هناك بعض المضايقات، فلقد كانت الأساطيل الإسبانية تقوم بطلعات على سواحل تونس، حيث قامت بحرق بعض القرى وإغراق بعض السفن القديمة[6]، ففي ربيع الأول 1576م نزلت القوات الإسبانية في كركنة على سواحل طرابلس الغرب وهددوا سواحل تونس، ثم أنزلوا جنودهم في المهدية إلا أنهم جوبهوا بمقاومة شديدة من الأهالي[7].

---

(1) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص157.

(2) يحي جلال: **المرجع السابق**، ص100.

(3) الشافعي درويش: علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، **المرجع السابق**، ص130.

(4) محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص51.

(5) إلهام يوسف، ولاء علي صقر، **المرجع السابق**، ص157.

(6) البارون الفونص روسو: **المرجع السابق**، ص154.

(7) فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص582.

أما عن المحاولات الحفصية في استرجاع تونس فلقد بدأت منذ أن التجأت الأسرة الحفصية إلى صقلية وبدأ أحمد الحفصي يبعث الرسائل للملك فيليب الثاني طالب منه المساعدة[1]، ولهذا بعث السلطان العثماني رسالة إلى بايلرباي إيالة طرابلس جعفر باشا يعلمه فيها بذلك وأنه قد تم تحالف أحمد (أحد أولاد الحكام التونسين الحفصيين) مع أعيان هذه الإيالة ومراسلة العربان العصاة للقيام بالتمرد وثورة ضد الأتراك وأمام هذا الوضع أمر قلج علي باشا بتحضير كل ما هو ضروري لمساعدة بيلر باي تونس والتصدي لأي هجوم يقع عليها ، و طلب منه تحضير الجيش والمعدات وعدم التأخر في تقديم المساعدة إلى الإيالة التونسية [2].

وفي عام 1578م بعث السلطان الحفصي رسالة أخرى للملك فيليب الثاني يطلب فيها استعادة كل القطر التونسي وذلك بأن تجهز له حملة يشرف عليها بنفسه، إلا أن الملك فيليب الثاني لم يلبي طلبه هذه المرة[3]، وفي سنة 1581م وقعت محاولة لإعادة الحكم الحفصي في تونس ولكن هيبتهم كانت قد ضاعت، فكانت هذه المحاولة أشبه بسحابة صيف[4]، حيث تمكنوا من النزول على الشاطئ التونسي نواحي صفاقس والقيروان التي انطلقوا منها إلى العاصمة صحبة 40 000 رجل، إلا أن الحاكم التونسي تمكن من سحق قواتهم في منطقة تقع بين قصور الساف والجم[5].

ويبدو أن حيدر باشا اقتنع بأن التحصينات والقوات الموجودة في تونس ليست كافية لدرء الأخطار الخارجية عنها ففكر في تعزيز استحكامات تونس وبنزرت، ولإمكانياته المحدودة طلب من

---

(1) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص154.

(2) عبد الجليل التميمي: دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر، **المرجع السابق**، ص 236. مهمة دفتري رقم 29، ص3،85\7\984هـ.

(3) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص158.

(4) صلاح العقاد: **المرجع السابق**، ص25.

(5) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص158.

الدولة العثمانية إلحاق المنستير والقيروان بتونس وفعلا تم ذلك، أما القيروان التي يحكمها الشيخ عبد الصمد فقد سلمت إلى بكلربكي تونس 1586م[1].

ب) توطيد الحكم العثماني في تونس:

إن النجاح العثماني في الإيالات المغربية يعتبر تتويجا لكل النشاطات العثمانية فردية كانت أو حكومية وهو في نفس الوقت يعتبر بداية لعثمنة الأنظمة والإدارة بإيالة تونس[2]، حيث تحولت إلى مقاطعة تركية للباب العالي في إستانبول[3].

فلقد جعل سنان باشا للولاية الجديدة نظاما يرتب أمورها وإدارتها، بحيث يدير شؤون البلاد ويباشر سياستها والي يلقب بالباشا، توليه عليه الدولة العلية وهو مسؤول عن الولاية[4]، يساعده ديوان الضباط الكبار للأوجاق، بالإضافة إلى وجهاء تونس[5]، فلقد عين حيدر باشا في إدارة الإيالة التونسية[6].

أما بالنسبة لضبط أوطان المملكة واستخلاص جبايتها فقد أُسندت إلى رمضان بن حسن من جند الجزائر تحت مسمى الباي[7]، كما عهدت الشؤون البحرية إلى قابودان ريس وأنشأ بالقصبة ديوان تجتمع به هذه الهيئة لفصل قضايا الجند[8].

---

(1) فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص582.

(2) عبد الجليل التميمي: الولايات العربية مصادر وثائقها في العهد العثماني، **المرجع السابق**، ص106.

(3) بوراوي الطرابلسي: **تاريخ تونس المنسي السكان والأرض**، الأطلسية للنشر، تونس، 2015م، ص66.

(4) الامام رشاد: **سياسة حموده باشا في تونس (1782–1814م)**، منشورات الجامعة التونسية،(د،ط)، تونس، 1890م، ص44.

(5) حنيفي هلايلي: **المرجع السابق**، ص45.

(6) فاضل بيات: **المرجع السابق**، ص581.

(7) أحمد بك الأنصاري: **المرجع السابق**، ج1،ص214.

(8) حسن حسني عبد الوهاب: **المرجع السابق**، ص133.

وبخصوص تسيير القضايا اليومية على مستوى الحي أو القرية فقد كان يتولى أمرها شيخ يختاره القوم[1].

كما رتب سنان القضاة وسائر المأمورين، فكان القاضي يحكم في القصاص والمعاملات بين المتداعيين، وله النظر في الأيتام والمحجور عليهم والأحباس ونحو ذلك[2].

وفي ذلك الحين كانت المقاطعة تسمى رسميا وجقا أو سنجقا وهو ما يؤكد طابعها العسكري[3]، وقد انتصب بتونس 3000 رجل عسكري من الإنكشاريين وكان ذلك العسكر عمود النظام، والمجلس الأعلى لهذا العسكر يسمى الديوان[4].

وقبل عودة سنان باشا إلى الاستانة قام بتنظيم إدارة تونس وحكومتها، حيث ترك فيها قوة عثمانية بلغ عددها 4000 رجل مقسمين إلى 40 فئة، وعين على رأس كل منها رئيس منح لقب الداي فانتخب 40 دايا من صناديد الرجال الغزاة والمجاهدين[5].

كما قام بإنشاء ديوان يجتمع فيه المسؤولون لتدبير شؤون الولاية وفصل قضايا العسكر وغيرها، وتم انتخاب بعض أعيان البلاد ليحضروا الديوان ويشاركوا في النظر[6]، بالإضافة إلى ذلك أصبحت تلقى خطبة صلاة الجمعة باسم السلطان العثماني وكذلك تضرب السكة باسمه[7].

---

(1) محمد الهادي الشريف: **المرجع السابق**، ص69.

(2) أحمد بك الأنصاري: **المرجع السابق**،ج1، ص214.

(3) محمد الهادي الشريف: **المرجع السابق**، ص68.

(4) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص158.

(5) البارون الفونص روسو: **الحوليات التونسية**، المرجع السابق، ص105.

(6) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص158.

(7) الإمام رشاد: **المرجع السابق**، ص45.

وعندما توطد الأمن بتونس وجرى العمل بالنظام المتقدم رجع سنان باشا إلى الاستانة[1]، واستمر العمل بالترتيب المذكور مدة لا تزيد عن 16 سنة، ثم في 1590م قامت ثورة قام بها صغار جند الإنكشارية على رؤساءهم، وكانت نتيجة الثورة أن انعقد مجلس ضم الباشا والباي و40 دايا وانتخبوا من بينهم دايا يتولى إدارة العسكر بالتعاون مع الآغا[2]

من خلال ما سبق نستنتج:

- أن لكل من درغوث باشا والعلج علي دور كبير في تحرير المدن التونسية من الإسبان رفقة الاسطول العثماني.

- لقد كان التدخل الإسباني في شؤون المدن التونسية جليا في النصف الثاني من القرن 16 من خلال احتلال المهدية عام 1551م، ومحاولة احتلال جربة في 1560م، وحملة الدون خوان النمساوي على تونس 1573م.

- أن استيلاء الدون خوان النمساوي على تونس في 1573م بعد تمكن العلج علي منها في 1569م رفقة الأسطول العثماني، راجع لعدة عوامل من ضمنها انتصار الدون خوان في معركة ليبانت 1571م كعامل أساسي في تشجيعه لاحتلال تونس.

- أن سنان باشا قد بذل جهد كبير في تحرير تونس من الإسبان وهذا راجع لقوة الاستعدادات (العدة والعتاد) وكذا راجع إلى الإستراتيجية المتبعة في ذلك أيضا .

- أنه كان من بين انعكاسات تحرير تونس نهائيا من الإسبان 1574م وجود محاولات للدول الأوروبية والحفصية لاسترجاعها مرة أخرى لكنها باءت بالفشل.

-أن سنان باشا قد اتبع نظاما عثمانيا محكما في تونس منذ دخوله فيها دام 16 سنة تغير بسبب ثورة الجنود الصغار عام 1590م.

---

[1] حسني عبد الوهاب: **المرجع السابق**، ص133.

[2] الإمام رشاد: **المرجع السابق**، ص45.

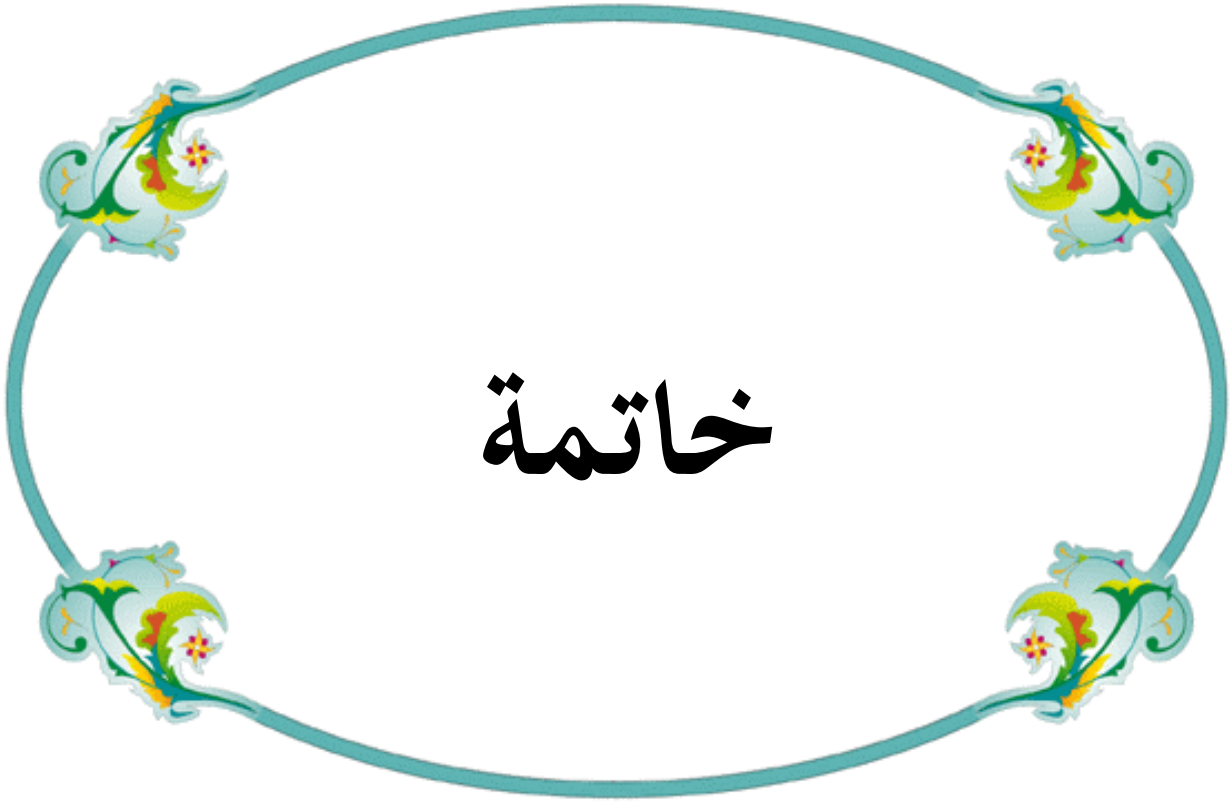

خاتمة

خاتمة

ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن إجمالها فيما يلي:

- أدى الزواج السياسي بين فرديناند وإيزابيلا سنة 1469م إلى توحيد إسبانيا وزيادة قوتها التي وجهتها ضد المسلمين سواء المتواجدين في إسبانيا أو في شمال إفريقيا .
- نتج عن سقوط غرناطة سنة 1492م هجرة العديد من الأندلسيين إلى بلاد المغرب فعملت إسبانيا على ملاحقتهم ، مما نشط عمليات القرصنة والجهاد البحري بين الطرفين .
- كان وراء الغزو الإسباني لسواحل المغرب العربي العديد من الدوافع أهمها نشر المسحية والقضاء على الإسلام والمسلمين.
- اعتبرت تونس عاصمة الدولة الحفصية إلا أنه في فترات الفتن والاضطرابات تعددت عواصمها فكانت بجاية وقسنطينة تشارك تونس هذه المهمة.
- مرت البلاد التونسية بفترات ازدهار وفترات ضعف، ففي فترات الضعف استطاع الإسبان احتلال بجاية وطرابلس ولكن فشلوا في احتلالهم لجربة.
- استطاعت الدولة العثمانية التوسع في المشرق العربي، وفي جنوب أوربا وبذلك أصبحت إمبراطورية مترامية الأطراف قادرة على مجابهة الإسبان والبرتغال .
- كان للإخوة بربروس دور كبير في توجيه أنظار الدولة العثمانية لشمال إفريقيا .
- كانت هناك العديد من الأسباب التي دفعت خير الدين لتوجيه حملة ضد تونس أهمها الموقع الاستراتيجي واستنجاد الرشيد به.
- شن خير الدين حملة على تونس سنة 1535م وتمكن من السيطرة عليها بسهولة وألحقها بالدولة العثمانية رغم رفض الحسن الحفصي وبعض الأعيان.
- لم تمض سنة على جعل تونس إيالة عثمانية حتى جاء النصارى بقيادة شارلكان سنة 1535م، وجعلوها محمية إسبانية.

- نصت معاهدة الاستسلام التي تم توقيعها بين الحسن الحفصي وشارلكان على شروط قاسية سواءا للحسن الحفصي أو لتونس، ولكن الحسن قبل بها طمعا في استرجاع عرشه.
- لم يقبل أهل تونس بإعادة الحسن الحفصي إلى العرش فقامت العديد من الثورات في بلدان مختلفة، المهدية، بنزرت، عنابة، صفاقس...فدخلوا في حروب مع الحسن الحفصي الذي كان دائما يستنجد بالنصارى ضد أبناء جلدته.
- قامت ثورات وتمردات ضد الحسن الحفصي، منها انفصال الشابيين في القيروان، فوجه إليها الحسن الحفصي أربع حملات، باءت كلها بالفشل، كذلك تمرد عليه ابنه أحمد الذي استغل غياب والده واعتلى العرش.
- قام أحمد ابن الحسن الحفصي بالعديد من التنظيمات بقصد السيطرة على تونس.
- عمل احمد الحفصي على توثيق صلة العلاقة بينه وبين الحاكم التركي في طرابلس الغرب "درغوث باشا" وذلك نظر للمصالح المشتركة بينهما والمتمثلة في القضاء على الشابيين المستولين على القيروان ومواجهة الاحتلال الاسباني.
- كان لكل من درغوث باشا والعلج علي دور كبير في تحرير المدن التونسية من الإسبان رفقة الأسطول العثماني.
- أن درغوث باشا كان مدعما من طرف الدولة العثمانية، وبفضل نشاطه تمكن العثمانيون من وضع أقدامهم في المنطقة.
- لقد كان التدخل الإسباني في شؤون المدن التونسية جليا في النصف الثاني من القرن 16 من خلال احتلال المهدية عام 1551م، ومحاولة احتلال جربة في 1560م، وحملة الدون خوان النمساوي على تونس 1573م.
- أن استيلاء الدون خوان النمساوي على تونس في 1573م بعد تمكن العلج علي منها في 1569م رفقة الأسطول العثماني، راجع لعدة عوامل من ضمنها انتصار الدون خوان في معركة ليبانت 1571م كعامل أساسي في تشجيعه لاحتلال تونس.

- أن سنان باشا قد بذل جهد كبير في تحرير تونس من الإسبان وهذا راجع لقوة الاستعدادات (العدة والعتاد) وكذا راجع إلى الإستراتيجية المتبعة في ذلك.
- أنه كان من بين انعكاسات تحرير تونس نهائيا من الإسبان 1574م وجود محاولات للدول الأوروبية الحفصية لاسترجاعها مرة أخرى لكنها باءت بالفشل.
- أن سنان باشا قد اتبع نظاما عثمانيا محكما في تونس منذ دخوله فيها دام 16 سنة تغير بسبب ثورة الجنود الصغار عام 1590م.

الملاحق

الملحق رقم (01):

التحرشات الإسبانية على موانئ الشمال الإفريقي في القرن السادس عشر[1].

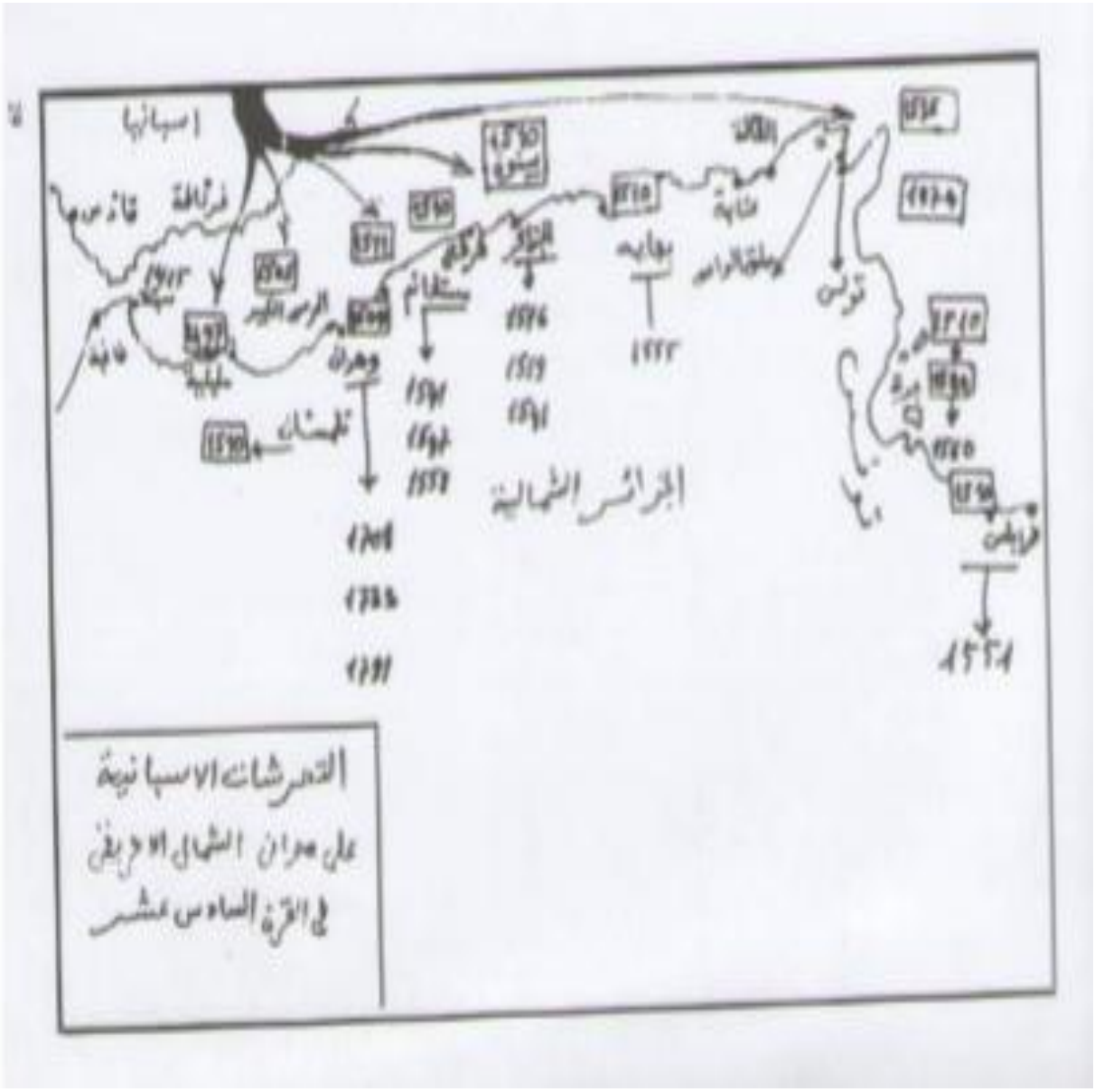

[1] مريم بوخاوش: **المرجع السابق**، ص462.

الملحق رقم (02):

الدولة العثمانية والإمبراطورية الإسبانية[1].

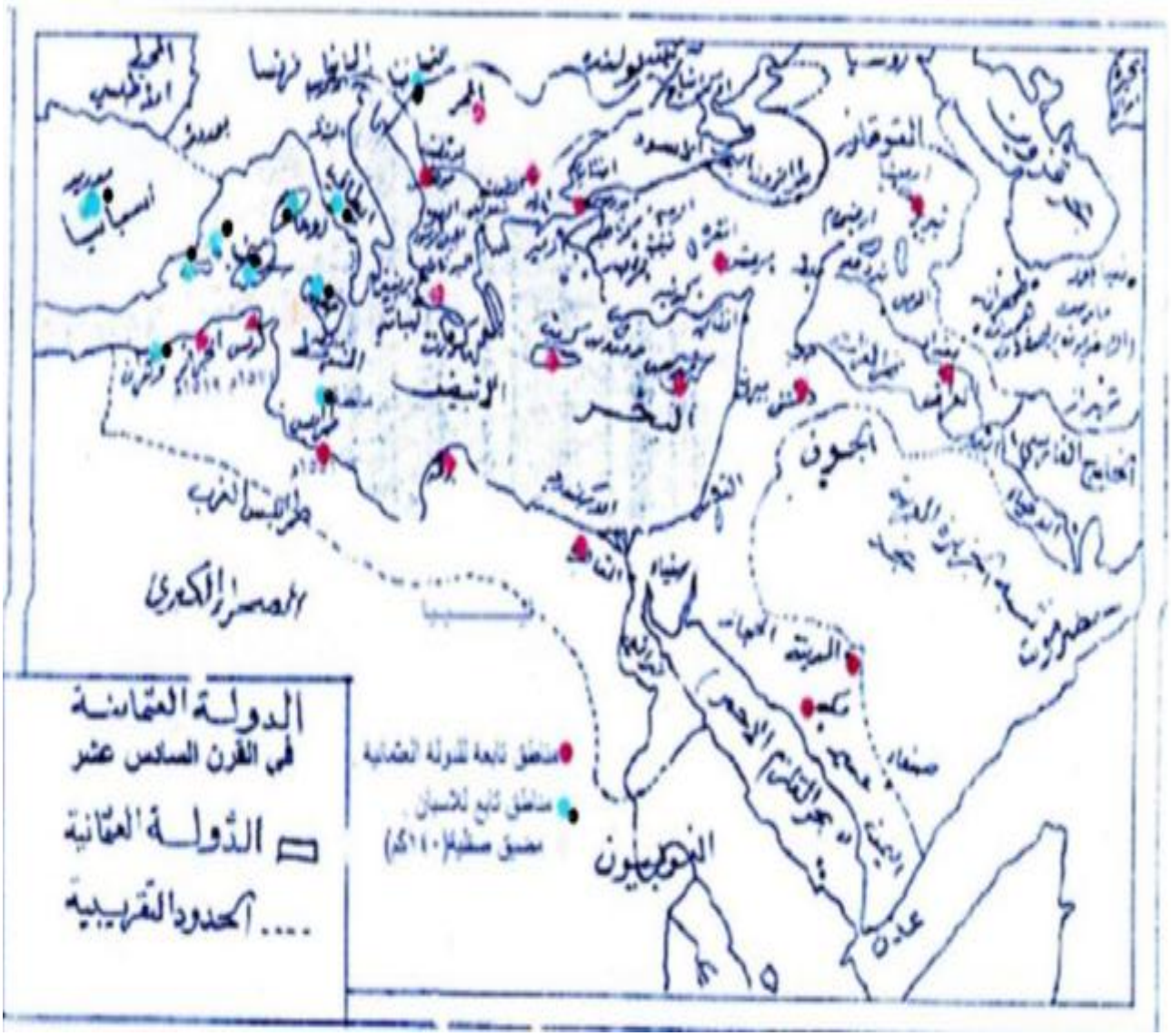

[1] الحسن قرود: **المرجع السابق**، ص325.

الملحق رقم(03):

خريطة توضح مملكة تونس [1].

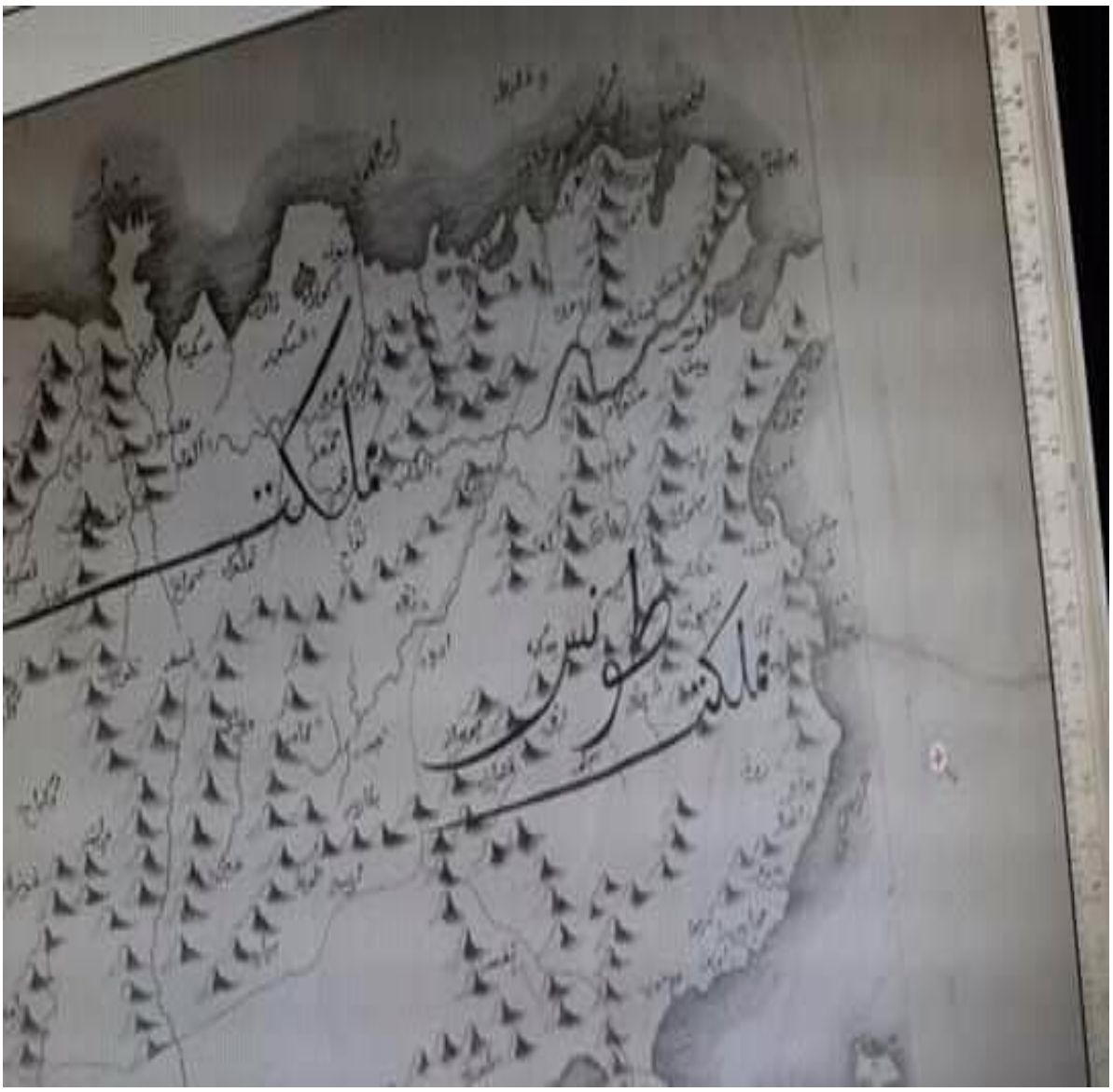

[1] مركز الأرشيف العثماني.

الملحق رقم(04):

خريطة توضح أهم المدن التونسية[1].

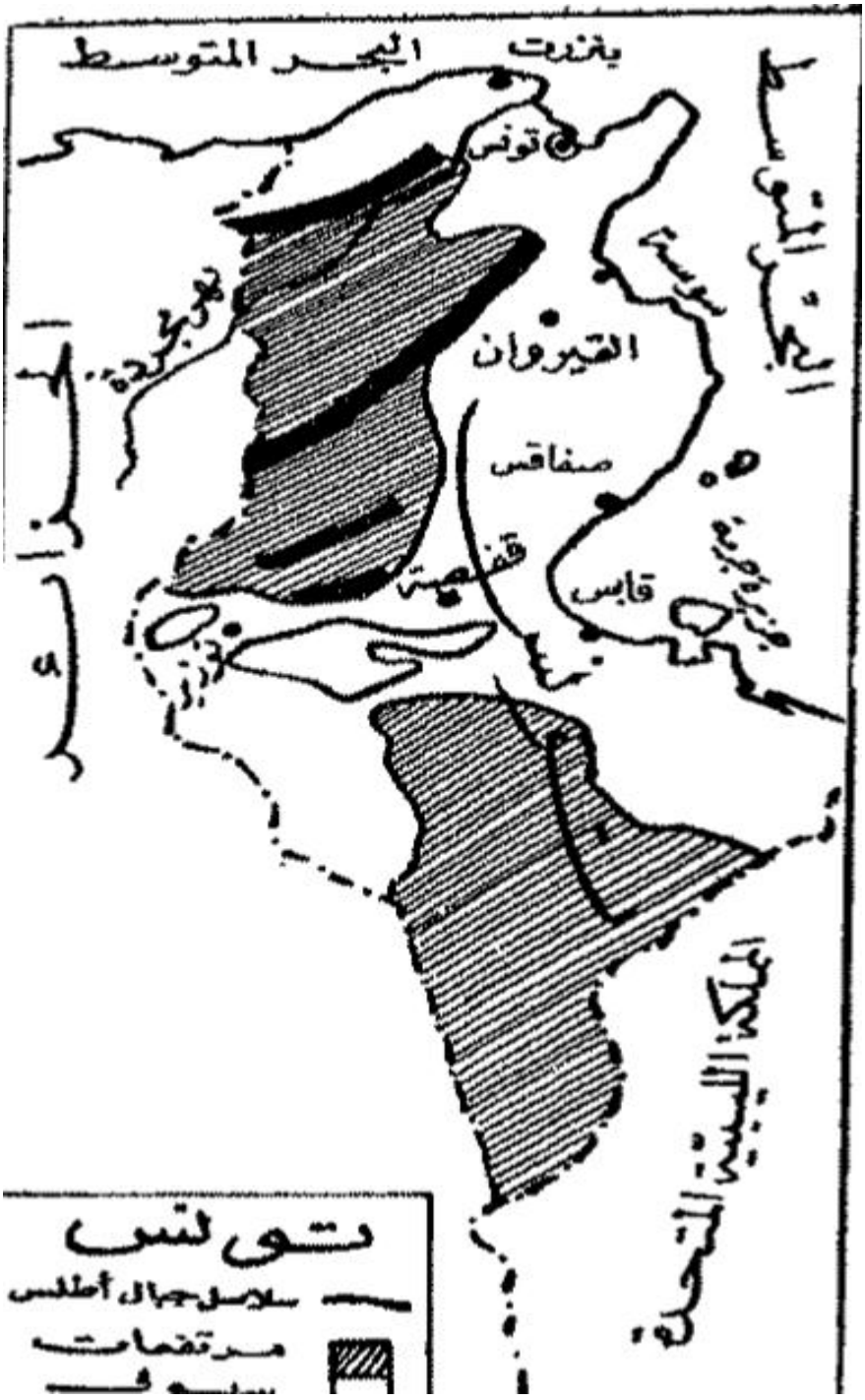

[1]حسن محمد جوهر: **المرجع السابق**، ص5.

الملحق رقم(05):

الصفحة الأخيرة من معاهدة1535م[1].

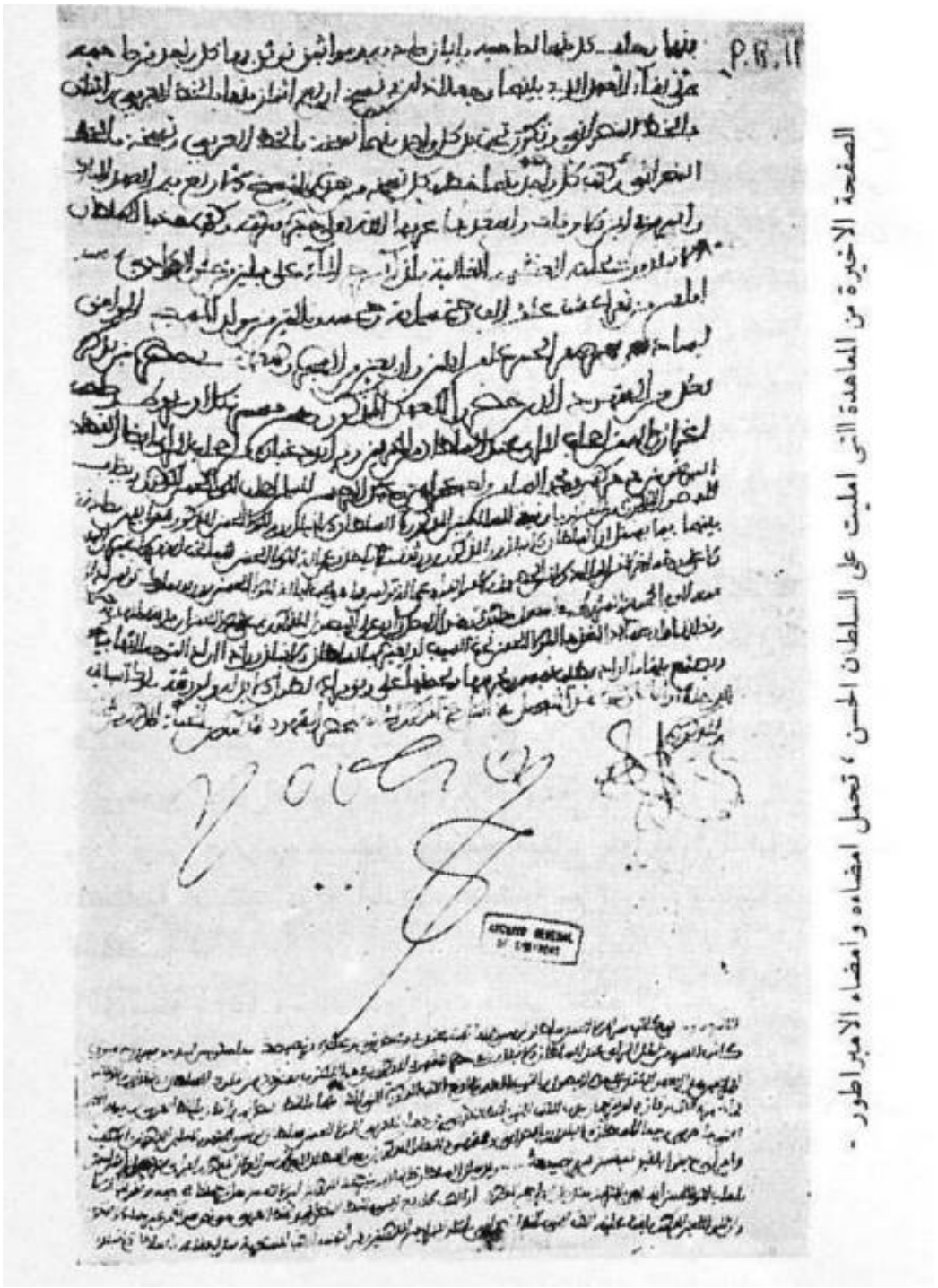

الصفحة الاخيرة من المعاهدة التي امليت على السلطان الحسن ، تحمل امضاءه و امضاء الامبراطور .

[1] أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص235.

الملحق رقم(06):

خريطة لمدينة تونس في عهد الحماية الإسبانية تمثل المدينة والأسوار والقصبة[1].

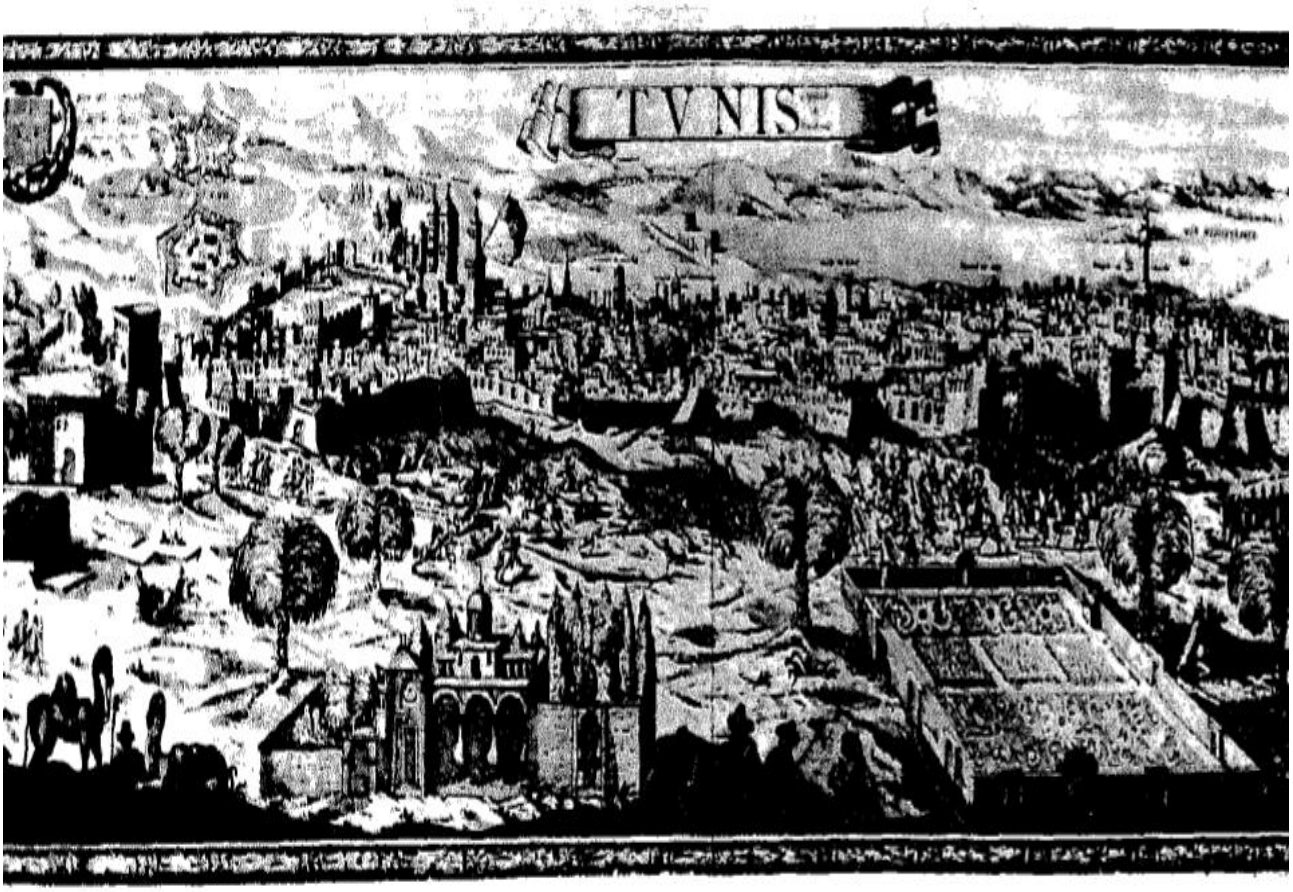

[1] محمد العروسي المطوي : المرجع السابق ، ص 605.

الملحق رقم(07) :

رسالة من العلج علي إلى السلطان سليمان القانوني يعلمه فيها عن الأوضاع السائدة في تونس ورغبته في ضمها[1].

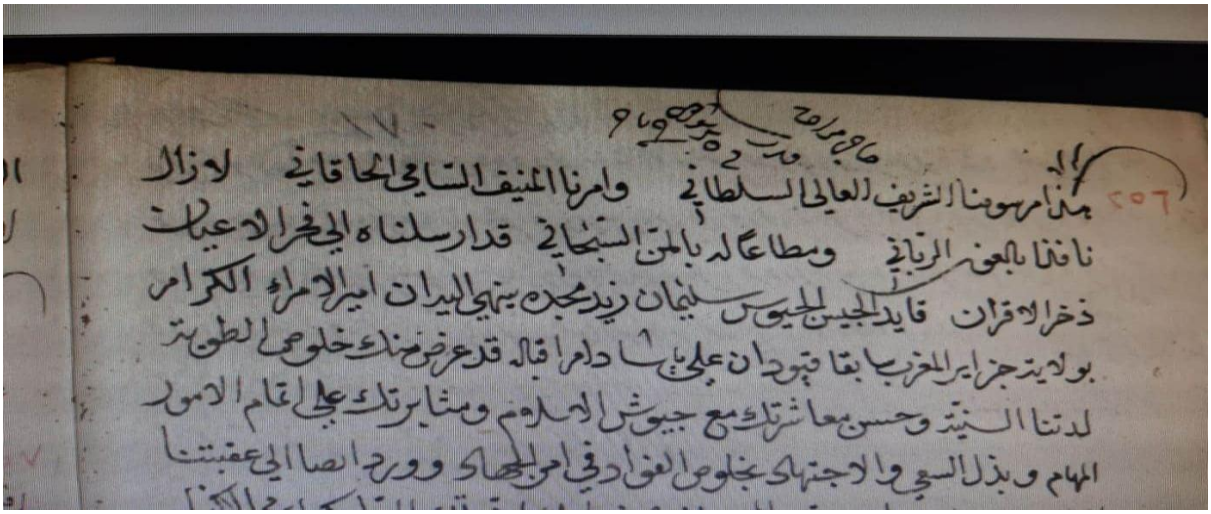

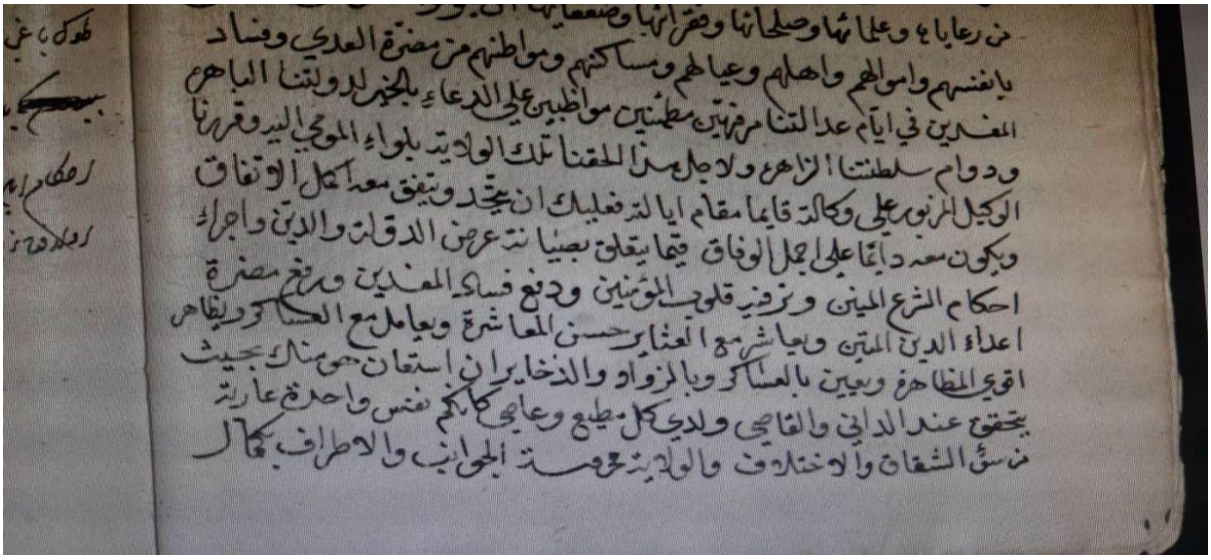

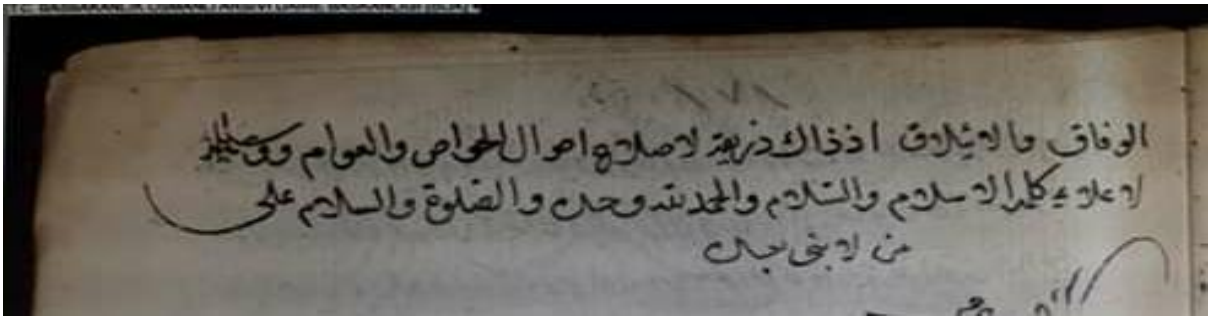

[1] مركز الأرشيف العثماني: مهمة دفتري رقم10، ص 170، حكم رقم 256، 25 شوال 979هـ.

نفس الوثيقة السابقة[1].

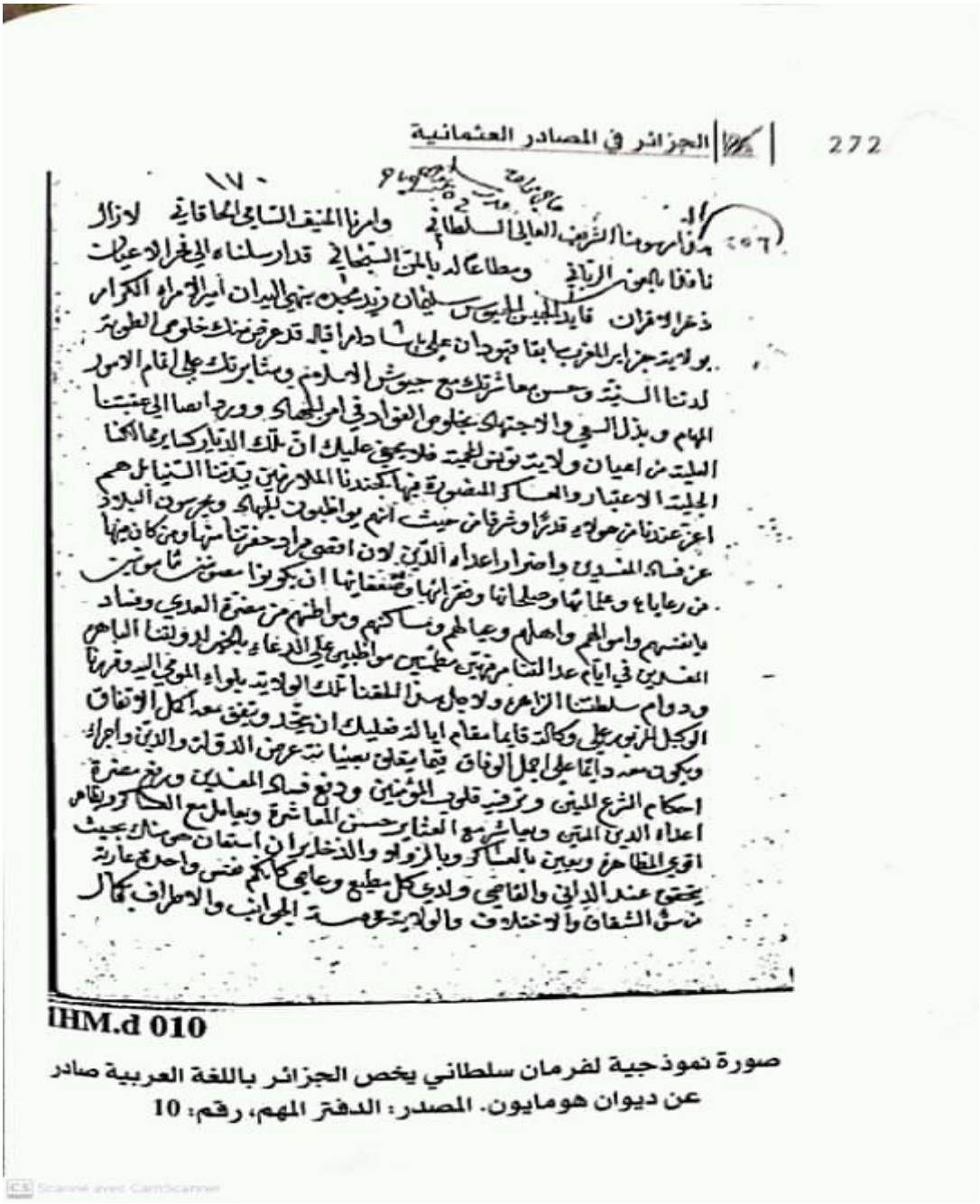

صورة نموذجية لفرمان سلطاني يخص الجزائر باللغة العربية صادر عن ديوان همايون. المصدر: الدفتر المهم، رقم: 10

[1] محمد دراج : الجزائر في المصادر العثمانية دراسة المصادر ونصوص مترجمة من التركية العثمانية إلى العربية ،شركة الأصالة،(د،ط) ،الجزائر، 2008، ص272.

ترجمة الرسالة[1]:

هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني وأمرنا المنيف السامي الحقاني لا زال نافدا بالعفو الرباني ومطاعا له بالمن السبحاني، قد أرسلناه إلى فخر الأعيان ودخر القران قائد جيش الجيوش سليمان زيد حبك ينهي اليدان أمير أمراء الكرام بولاية جزائر الغرب سابقا قبودان علي باشا دام قبله، قد عرض منك خلوص التوبة لذاتنا الثنية وحسن معاشرتك مع جيوش الإسلام ومثابرتك على إتمام الأمور والمهام بذل السعي والإجتهاد بخلوص القود في أمر الجهاد، وورد إلى عقبتنا العلية من أعيان ولاية تونس المحمية ،فلا يخفى عليك أن تلك الديار كسائر مملكنا الجلية الإعتبار والعساكر المنصورة فيها كجند الملازمين بيبياتنا الثنية بل هم أعز عندنا من هؤلاء قدرا وشرفا من حيث أنهم يواظبون الجهاد ويحرسون البلاد من فساد المفسدين وأضرار أعداء الدين لإن أقصى مراد حضرتنا منها ومن كان فيها من رعايها وعلمائها وصلحائها و فقرائها و ضعفائها أن يكونوا مصونين ومأمونين بأنفسهم وأموالهم وأهلهم وعيالهم ومساكنهم ومواطنهم من مضرة العدو وفساد المفسدين في أيام عدالتنا مرفهين مطمئنين مواظبين على الدعاء بالخير لدولتنا الباهية ودوام سلطتنا الزهرة ولأجل ذلك ألحقنا تلك الولاية بلواء الموفي اليد فقررنا الوكيل المرفق علي وكالة قائم مقام الإيالة فعليك أن يتخذ ويتفق معه أكمل الإتفاق ويكون معه دائما على أجمل الوفاق فيما يتعلق بصيانة عرض الدولة والدين واجراء أحكام الشرع المبين وترقية قلوب المؤمنين ودفع فساد المفسدين ورفع مضرة أعداء الدين المتين، ويعاشر مع العشائر حسن المعاشرة ويعامل مع العساكر يظهر أقوى المظاهر ويعين العساكر بالزواد والدخائر وأن استعان هو منك بحيث يتحقق عند الذاني والعاصي ولدى كل مطيع وعاصي كأنكم نفس واحدة عادية من شق الشقاق والاختلاف الولاية محروصة الجوانب والاطراف كالوفاق والانفاق لإصلاح أحوال الخواص والعوام والصلحاء وإعلاء كلمة الإسلام والسلام والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

[1] من إعداد الطالبتين.

الملحق رقم (08):

رسالة من السلطان سليمان القانوني إلى أعيان أولاد سعيد يعلمهم بتعيين رمضان قائم مقام على تونس، ويأمرهم بطاعته[1].

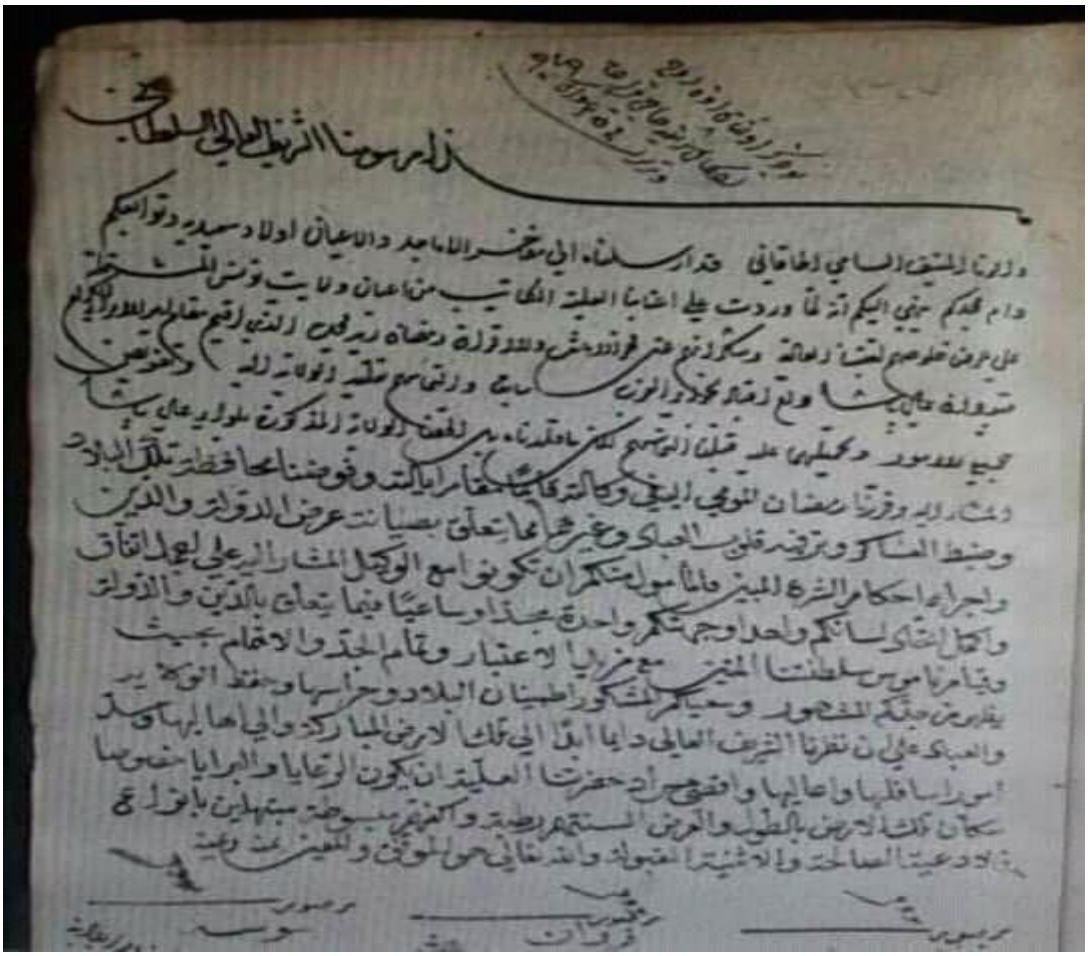

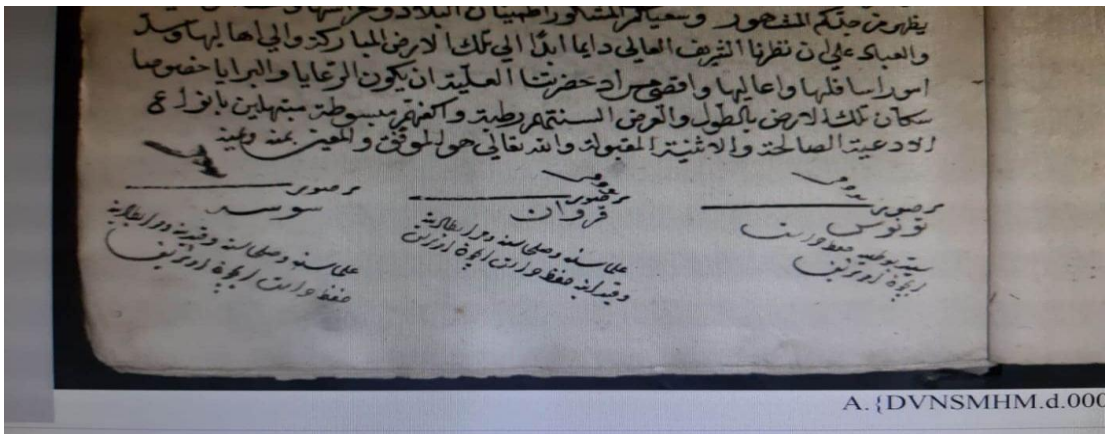

[1] مركز الأرشيف العثماني: مهمة دفتري رقم10، ص 167، حكم رقم 253، 25 شوال سنة 979هـ.

ترجمة نص الرسالة[1].

هدا مرسومنا الشريف العالي السلطاني وأمرنا المنيف السامي الحقاني قد أرسلناه إلى مفخر الأماجد والأعيان أولاد السعيد وتوابعكم دام مجدكم أوفي إليكم ، أنه لما وردت على أعتابنا العلية المكاتيب من أعيان ودايات تونس المتمثلة في عرض خلوصهم لتنبأ العالية وشكرا منهم عن (أزروباش) وسد قوله وقد قررنا رمضان زيد حبك الذي قيم مقام (ليس للأمراء) الكرام (قبوله) علي باشا وقع اقباله الجزئر الغرب سابقا والتي منهم تعليمة الولاية إليه وتفويض جميع الأمور وتحميلها ،وقررنا رمضان الموصي إليه في وكالته قائما مقام إيالته وفوضنا محافظة تلك البلاد وضبط العساكر وترفيه قلوب العباد وغيرها مما يتعلق بصيانة عرض الدولة والذي وادراء أحكام الشرع المبين فالمامول منكم أن تكونوا على الوكيل المشار إليه على العمل إتفاق .وأكمل اتحاد لسانكم واحد وجرتكم واحدة مجدا ساعيا فيما يتعلق بالدين والدولة وقيام ناموس سلطتنا المتين مع زيد الاعتبار وتمام الجد والاهتمام بحيث يظهر من جدكم المشهور وسعيكم المشكور اطمئنان البلاد وحراسها وحفظ الولاية والعباد على أن نظرنا الشريف العالي دائما ابدا إلى تلك الأرض بالطول والعرض السنتهم رطبة وأكفههم مبسوطة مبتهلين بأنواع الادعيتنا الصالحة والأتنة المقبوله .والله تعالى هو الموفق والمعين عنه وعين .

[1] من إعداد الطالبتين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الأرشيفية غير المنشورة :

1.مهمة دفتري رقم10، ص 170، حكم رقم 256، 25 شوال 979هـ.

2.مهمة دفتري رقم10، ص 167، حكم رقم 253، 25 شوال سنة 979هـ.

ثانيا : الوثائق الأرشفية المنشورة :

1. التميمي عبد الجليل: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،(د،ط)، (د.م.ن)،2009.

2. مهمة دفتري رقم 10، ص 4، 979/1/17هـ.
3. مهمة دفتري رقم 10، ص 571، 979/11/8هـ.
4. مهمة دفتري رقم 24، ص 59، 981/12/5هـ.
5. مهمة دفتري رقم 25، ص 60، 981/12/5هـ.
6. مهمة دفتري رقم 26، ص 288، 982/7/15هـ.
7. مهمة دفتري رقم 29، ص 85، 984/7/3هـ.
8. مهمة دفتري رقم12، ص 541، 979/10/25هـ.

ثانيا:المصادر:

1. بربروس خير الدين:مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، شركة الأصالة، ط1، الجزائر.
2. تلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، تع: خير الدين سعيدي، أوراق ثقافية، ط1، الجزائر، 2007م.

3. ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،** تح وتق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب،(د،ط)، تونس، 1984م.
4. الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،** تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة،(د،ط)، تونس،(د،س،ن).
5. كربخال مارمول : **إفريقيا**،تر: محمد حاجي،محمد الأخضر وأخرون،دار نشر المعرفة،(د،ط)، الرباط،(د،س،ن)، 3ج.
6. مجهول: **الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان،** تح: هانس أرنست، دار إحياء الكتب العربية،(د،ط)، (د.م.ن)، 1962م.
7. مجهول: **غزوات عروج وخير الدين،** تصحيح وتع: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية،(د،ط)، الجزائر، 1353هـ/1934م.
8. الوزان الفاسي حسن بن محمد: **وصف افريقيا، تر: محمد حجي و محمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2**، بيروت، لبنان، 1983م،2ج.

ثالث المراجع

أ) **الكتب:**

1. أرسلان شكيب: **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلس،** المكتبة التجارية الكبرى، ط1، فاس، المملكة المغربية، 1936م، 3ج.
2. إلتر عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،** تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية،(د،ط)،(د،م،ن)، 1409هـ/1989م.
3. الإمام رشاد: **سياسة حموده باشا في تونس (1782–1814م)**، منشورات الجامعة التونسية،(د،ط)، تونس، 1890م.
4. أندريه ريمون: **المدن العربية الكبرى في العصر العثمانية،** تر: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1991م.

5. الأنصاري أحمد بك النائب ا: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني،(د،ط)، ليبيا، (د.س.ن)، 2ج.
6. أوزتونا يلماز: **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: عدنان محمود سليمان، مؤسسة فيصل للتمويل،(د،ط)، تركيا، 1988م، 2مج.
7. ايرفنغ واشنطن: **أخبار سقوط غرناطة**، تر: دهاني يحي نصري، مكتبة الانتشار العربي، (د،ط)، (د.م.ن)، 2000.
8. إيفالد: **رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835م مرورًا بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمنستير والمهدية وصفاقس وقابس وجربة**، تر و تع:منير الغندري: بيت الحكمة،(د،ط)، تونس، 1991م.
9. إيفانوف نيقولاي: **الفتح العثماني للأقطار العربية (1516–1574م)**، تع: يوسف عطا الله، دار الفارابي، ط2، بيروت، لبنان، 2004م.
10. اينالجيك خليل: **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، تر: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2002م.
11. الباروني عمر محمد: **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي،(د،ط)، طرابلس، ليبيا، 1952م.
12. الباروني يوسف بن أحمد: **جزيرة جربة في مواكب التاريخ**، تح: سعيد بن يوسف الباروني، جربة، 1998م.
13. برجاوي سعيد أحمد: **الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**، الأهلية للنشر والتوزيع،(د،ط)، بيروت، 1993م.
14. برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13ّ إلى نهاية القرن 15**، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988م، 2ج.
15. البعلبكي منير: **معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1992م.

16. بونار رابح: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، دار الهدى،(د،ط)، الجزائر، (د.س.ن).
17. بيات فاضل: **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرًا مطلع العهد العثماني أواسط القرن التاسع عشر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007.
18. التميمي عبد الجليل: **الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني**، تق: محمد المزالي، الاتحاد العام التونسي للشغل، ط1، تونس، 1984م.
19. الجمل شوقي عطا الله: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، مصر، 1977م.
20. الجميعي عبد المنعم: **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي للطبع والنشر، مصر، 2006م.
21. جوهري يسري: **شمال إفريقية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط6، الإسكندرية، 1980م.

22. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، دراسة مكتبة الحياة، ط2، بيروت، 1385هـ/1965م، 2ج.
23. حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تح: محمد حرب، تسنيم حرب،(د،ط)، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، (د.م.ن)، 2017م.
24. حاطوم نور الدين: **تاريخ عصر النهضة الأوروبية**، دار الفكر،(د،ط)، دمشق، 1985م.
25. الحبيب تامر: **هذه تونس**، مكتب المغرب العربي، (د.م.ن)، (د.س.ن).
26. حتامله محمد عبده: **الاندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة**، دائرة المكتبة الوطنية ،(د،ط)، عمان، 2009م.
27. الحسن عيسى: **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، مكتبة الأهلية، ط1، الأردن، 2008.
28. حسن محمد: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى،(د،ط)، تونس، 1999م، 2ج.

29. حليم إبراهيم بك: **التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية**، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ط1، (د.م.ن)، 1323هـ/1905م.
30. الحموي الياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر،(د،ط)، بيروت، لبنان ،(د.س.ن)، 5مج.
31. الحميري محمد عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة**، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
32. بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1997م.
33. حومد أسعد: **محنة العرب في الأندلس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، (د.م.ن)، 1988م.
34. الخطيب مصطفى عبد الكريم: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1996م.
35. خليل أحمد إبراهيم: **تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (1516–1916م)**، مكتبة زيد للكتب الإلكتروني،(د،ط)، الموصل، (د.س.ن).
36. بن خليل بن غلبون الطرابلسي عبد الله محمد: تا**ريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تع: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية ،(د،ط)، القاهرة، 1349هـ.
37. بن خوجة محمد: **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح: حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1986م.
38. خير فارس محمد: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي**، (د.د.ن)، ط1، دمشق، 1969م.
39. دراج محمد: **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512–1543م)**، شركة الأصالة للنشر، ط3، الجزائر، 2015.
40. دسوقي ناهد إبراهيم: **دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية،(د،ط)، الإسكندرية، مصر، 2011م.

41. رافع محمود: **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: بشر السباعي، دار الفكر، ط1، القاهرة، 1992م.
42. رشدي راسم: **طرابلس الغرب في الماضي والحاضر**، (د.د.ن) ،ط1، ليبيا، 1953م.
43. الرعيني محمد بن أبي القاسم القيرواني المعروف ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ،ط1، تونس، 1869م.
44. روسو البارون الفونص: **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تر وتح: محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قار يونس،(د،ط)، بنغازي، ليبيا.
45. روسي ايتوري: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، تر: خليفة محمد التليسي، المنشاة العامة لنشر والتوزيع والاعلام ، ط1، طرابلس، ليبيا، 1969م.
46. روسي ايتوري: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911**، تر: خليفة التليسي، الدار العربية، ط1، 1974م.
47. زاوي الطاهر أحمد: **معجم البلدان الليبية**، ط1، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، 1968م.
48. الزروق محمد: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16–17**، إفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2014م.
49. زغروت فتحي: **العثمانيون ومحاولات انقاذ مسلمي الأندلس منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي (898–1115هـ/1492–1609م)**، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، (د.م.ن)، 2012م.
50. بن زيان بن أشنهو عبد الحميد: **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، مكتبة جواد سماعي، (د،ط)، الجزائر، (د.س.ن).
51. سالم أحمد: **استراتيجية الفتح العثماني**، مؤسسة شبان الجامعة،(د،ط)، الإسكندرية، 2012م.
52. سالم أحمد: **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16**، مؤسسة شباب الجامعة،(د،ط)، مصر، 2011م.

53. سبنسر وليام: **الجزائر في عهد الرياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية، دار القصبة،(د،ط)، الجزائر، 2006م.

54. السراج محمد الوزير بن محمد الأندلسي: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**،تح: محمد الحبيب هلية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1985م، 3ج.

55. السرجاني راغب: **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**،مؤسسة اقرأ، ط1، القاهرة، 2011م، 2ج.

56. سعيدوني ناصر الدين: **ولايات المغرب العثمانية، الجزائر، تونس، طرابلس الغرب**، البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2014م.

57. السنوسي أحمد الشريف الأطرش: **تاريخ الجزائر في خمسة قرون**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع،(د،ط)، الجزائر، 2013م.

58. السهيل نايف عيد: **العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران (907–920هـ/1502–1514م)**، مركز البحوث والدراسات التاريخية، (د،ط) ، القاهرة، 2009م.

59. السيد محمود: **تاريخ إفريقيا القديم والحديث**، مؤسسة شباب الجامعة،(د،ط)، الإسكندرية، مصر، 2006.

60. الشريف محمد الهادي: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تح: محمد الشاوش، محمد عجينة، دار سراس، ط 3، تونس، 1993م.

61. الشناوي عبد العزيز محمد: **الدولة العثمانية دولة الإسلام مفترى عليها**، مكتبة الأنجلو المصرية،(د،ط)، القاهرة، 2004م، 2ج.

62. بن شهرة المهدي: **تاريخ وبرهان بن حل بوهران**، دار الريحانة للكتاب، ط1، الجزائر، 2007م.

63. شوفالييه كورين: **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510–1541م**، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية،(د،ط)، الجزائر، 2007م.

64. صابان سهيل: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط3، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م.
65. الصدوق الشيخ: **عيون أخبار الرضا(ع)**، تح، تع، تق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،(د،ط)، بيرت ، لبنان، 1984م، 2ج.
66. الصلابي علي محمد محمد: **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار التوزيع والنشر الإسلامي،(د،ط)، (د.م.ن)، 1421هـ/2001م.
67. بن أبي الضياف أحمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدار التونسية للنشر،(د،ط)، الجزائر، تونس، 1974م، 8ج.
68. الطالبي محمد: **في تاريخ إفريقية أعلام، مواقع، قضايا**، تر: محمد العربي عبد الرزاق، رياض المرزوقي، دار المعارف التونسية،(د،ط)، تونس، 1994م.
69. الطرابلسي بوراوي: **تاريخ تونس المنسي السكان والأرض**، الأطلسية للنشر،(د،ط)، تونس، 2015م.
70. طقوش محمد سهيل: **تاريخ الدولة العثمانية من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، دار النفائس ،ط3، بيروت، لبنان، 2013م.
71. الطويلي أحمد: **في الحضارة العربية التونسية**، دار المعارف،ط1، (د.م.ن)، 1988م.
72. عامر محمود علي، خير فارس محمد: **تاريخ المغرب العربي الحديث"الغرب الأقصى– ليبية"**، (د.د.ن)، (د،ط)، دمشق، (د.س.ن).
73. عباد صالح: **الجزائر خلال الحكم التركي1514 .1830** ،دار هومة،(د،ط)، الجزائر ، 2012م.
74. العبادي أحمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة ،(د،ط)، مصر،(د.س.ن).
75. بن عبد القادر محمد : **تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر**،(د،د،ن) ،(د،ط)، الإسكندرية، 1903م، 2ج.
76. عبد القادر نور الدين: **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة،(د،ط)، الجزائر، 2006م.

77. عبد الوهاب حسن حسني: **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، ط3، تونس، 1373هـ.
78. بوعزيز يحي: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر،(د،ط)، وهران، 1993م.
79. بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2009م، 2ج.
80. بوعزيز يحي: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500–1830**، دار البصائر،(د،ط)، الجزائر، 2009م.
81. بزعزيز يحي: **مدينة وهران عبر التاريخ**، عالم المعرفة،(د،ط)، الجزائر، 2009م.
82. العسلي بسام: **خير الدين بربروس (الجهاد والبحر 1470هـ**/1547م)، دار النفائس، ط1، بيروت، لبنان، 1980م.
83. العطار عدنان: **الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط**، دار الأصالة، ط1، الجزائر، 2006م.
84. العقاد صلاح: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب الأقصى**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، مصر، 1993.
85. عمار عمورة: الموجز **في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة، ط1، الجزائر، 2002م.
86. بن عميرة محمد، بن عميرة لطيفة بشاري: **تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية في عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين**، دار الفاروق، ط1 ،الجزائر، 2015م.
87. فكاير عبد القادر: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910–1206هـ/1505–1792م)**، دار هومة،(د،ط)، الجزائر، 2012م.
88. فلاحة محمد خير: **الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد**، (د.د.ن)، (د،ط)، (د.م.ن)، 2005م.
89. فيرو شارل:**الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، تر و تع: د. محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قار يونس،(د،ط)، ط3، بنغازي، 1994م.

90. الفيكونت دوشنو بريان، آربني سراج: **خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة،** (د.د.ن)، (د،ط)، مصر، 1925م.

91. الفيلالي عبد الكريم: **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير،** شركة تاس للطباعة، ط1، القاهرة، 2006م، 12ج.

92. قشتيليو محمد: **حياة المورسيكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها،** مطابع الشويخ، ط1، تطوان، 2001م.

93. كحيلة عبادة: **القطوف الدواني في التاريخ الإسباني،** دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1998م.

94. كوران آرجمنت: **السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي،** تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية،(د،ط)، تونس، 1970م.

95. كوستانزيو برنيا: **طرابلس من1510إلى1830،** تح: خليفة محمد التليسي ،دار الكتب الوطنية ،(د،ط)، بنغازي، 1985م.

96. كولان ج.س.: **الأندلس،** تر: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس وآخرون، دار الكتاب المصرية،(د،ط)، 1980م.

97. المحامي محمد فريد بك: **تاريخ الدولة العلية العثمانية،** تح: إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1401هـ/1981م.

98. محمد دراج: **الجزائر في المصادر العثمانية دراسة للمصادر ونصوص مترجمةمن التركية العثمانية إلى العربية،** شركة الأصالة للنشر،(د،ط)، الجزائر، 2008.

99. مخلوف محمد بن محمد بن عمر قاسم: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (التتمة)،** المطبعة السلفية،(د،ط)، القاهرة، 1931م، 3ج.

100. المدني أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م،** الشركة الوطنية،(د،ط)، الجزائر، (د.س.ن).

101. مروش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العتماني، القرصنة،الأساطير والواقع ،دار القصبة،(د،ط)، الجزائر،2006م،2ج.

102. المسعودي الباجي: **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، تق وتح وتع: محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2013م.
103. مصطفى أحمد عبد الرحيم: **أصول التاريخ العثماني**، دار الشروق، ط3، القاهرة، 2000م.
104. المطوي محمد العروسي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار المغرب الإسلامي، ط2، تونس، 1982م.
105. المطوي محمد العروسي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي،(د،ط)، بيروت، 1986م.
106. ابن المفتي حسن بن رجب شاوش:**تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلماءها**، جمعها :فارس كعوان ،بيت الحكمة،(د،ط)، الجزائر،2009.
107. مقديش محمود: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، 2مج.
108. المقري أحمد التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تح: إيجان عباس، دار صادر،(د،ط)، بيروت، 1968م، 8مج.
109. مقلاتي عبد الله: **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)**، ديوان المطبوعات الجامعية،(د،ط)، الجزائر، 2014م.
110. موسى فيصل محمد: **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة،(د،ط)، بنغازي، ليبيا، 1997م.
111. النظام زهراء: **العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط في العثمانية والعالم المتوسطي مقاربات جديدة**، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 109، منشورات كلية الأدب، الرباط، 2003م.
112. نيكولاي ايليتش بروشين: **تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين**، تع وتق: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة،(د،ط)، بيروت، 2001م.

113. هابنسترايت ج.آو : **رحلة العالم الألماني ج.هابنسترايت الى الجزئر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)**،تر: ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي،(د،ط)، تونس، (د.س.ن).

114. آل هجاد الزهراني موسى بن محمد: **الدولة الصفوية الاثني عشرية، النشأة، والآثار، وعوامل الإنهيار**، دار الدراسات العلمية،(د،ط)، المملكة العربية السعودية، 2016م.

115. الهلالي الميلي مبارك محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية،(د،ط)، الجزائر، 1964م، 3ج.

116. هلايلي حنيفي: **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى،(د،ط)، الجزائر، 2010م.

117. وولف باتيست جون: **الجزائر و أوروبا (1500-1830م)**، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة،(د،ط)، الجزائر، 2009م.

118. ياغي إسماعيل أحمد: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996م.

119. ياغي إسماعيل أحمد: **العالم العربي في التاريخ الحديث**، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية 1418هـ/1997م.

120. يحي جلال: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،المكتب الجامعي الحديث ،(د،ط)، الإسكندرية، 1999م.

121. يحياوي جمال: **سقوط غرناطة ومأساة الأندلس 1492-1610م**، دار هومة،(د،ط)، الجزائر، 2004م.

ب) أطروحات الدكتوراه:

1. بخاوش مريم: **أثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط 6-10هـ/12-16م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: مبارك بوطارن، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2015/2014م.

2. تومي طاهر: **علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع إسبانيا ما بين 1520–1792م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد القادر صحراوي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2019/2018م.

3. جميل عائشة: **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520–1830م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: صحراوي عبد القادر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2018/2017م.

4. بن حيدة يوسف: **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية "الطريقة الشابية نموذجا"**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد مكحلي، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017/2016م.

5. رضوان نبيل عبد الحي: **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، إشراف: محمد عبد اللطيف الجراوي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1987م.

6. بوعيسي حسام الدين: **القرصنة البحرية وتأثيرها على المنطقة العربية**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، إشراف: جلول شتيتور، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013/2012م.

ج) رسائل الماجستير:

1. بوبكر محمد السعيد: **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي (119–1206هـ/1708–1792م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: مختار حساني، المركز الجامعي، غرداية، 2011/2010م.

2. بيشي رحيمة: **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898–982هـ/1494–1574م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف شكيب بن حفري، جامعة غرداية، 2012/2011م.

3. الثقفي محمد أحمد: **زواج السلاطين العثمانيين من الأجنبيات وأثره في إضعاف الدولة،** رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: يوسف علي رابع الثقفي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2011/2010م.

4. الحلبي رامز إسماعيل: **عوامل سقوط الأندلس (92هـ/711م–798هـ/1492م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف: يونس عبد العزيز الخالدي، الجامعة الإسلامية، 1436هـ/2015م، فلسطين.

5. بوحمشوش نعيمة: **مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر،** رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف:ناصر الدين سعيدوني،جامعة الجزائر، 1999م.

6. بن خروف عمار: **العلاقات بين الجزائر والمغرب (963–1069هـ/1517–1659م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: ليلى الصباغ، جامعة دمشق، 1403هـ/1983م.

7. درويش الشافعي: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانية خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي،** رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2011/2010م.

8. دغموش كاميلية: **قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509–1792م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: محمد دادة، جامعة وهران، 2014/2013م.

9. دكاني نجيب: **الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائري خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، الجزائر، 2002/2001م.

10. رحماني عائشة، رحماني مريم: **الحركة العلمية في الدولة الحفصية (625-981هـ/1277-15774م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام، إشراف: خالدي مسعود، جامعة قالمة، 2017/2016م.

11. سي يوسف محمد: قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: ابو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 1988م، ص64.

12. شوبان فيروز، تيزيري عقاد: **الوحدة الإسبانية وتأثيرها على سواحل شمال إفريقيا (1467-1535م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، إشراف: شدري معمر رشيد، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2019/2018م.

13. لعباسي محمد: **أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918هـ/1512م إلى سنة 953هـ/1546م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: الجيلالي سلطاني، جامعة وهران، 2006/2005م.

14. فكاير عبد القادر: **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: جمال قنان، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001/2000م.

15. قرود لحسن: **دور الجزائر في تدعيم الحكم العثماني في تونس خلال القرن السادس عشر ميلادي**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أرزقي شويتام، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2018/2017م.

16. كليل صالح: **سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: علي أجقو، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2007/2006م.

17. المسعودي جميلة مبطي: **المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 261هـ وحتى سنة 893هـ**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: المنسي محمود عاصي، جامعة الجزائر، 1461هـ/2000م.

د) مذكرات الماستر:

1. حدون حكيمة، بن ربحة خديجة: **مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة الدايات، حروب اليونان أنموذجًا (1821–1829م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف: أمين محرز، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، 2016/2015م.
2. خداس حورية، **صحراوي فتيحة: تحرير وهران 1792م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر،(د.م)، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2018/2017م.
3. زرداني رتيبة ، بلهتهات سعيدة: **الجزائر في عهد العلج علي**، مذكر لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد القادر فكاير، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2016/2015م.
4. بوشيخي أسماء: **سقوط غرناطة (قراءة في معاهدة التسليم)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ السياسي والحضاري، إشراف: محمد دلباز، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة، 2017/2016م.
5. العمري فتيحة، شوانية مليكة: **التوسع العثماني في البلقان في عهد سليمان القانوني 1520–1566م**، مذكر لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، إشراف: عائشة حسيني، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، 2018/2017م.

6. قرشي رزيقة، نعلامن حنان: **السياسة الخارجية للدولة العثمانية خلال عهد السلطان سليم الاول (918-926هـ/1512-1520م)،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف:محمود تركية،جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة 2016/2017م.**

7. قموز محمد، زياولة خالد: **الهجرة الأندلسية وأثرها على المغرب الأوسط من القرن 16م إلى 19م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: مهدية طيبي، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016/2017م.

8. مخطاري عبد المؤمن: الصراع العثماني الإسباني في الحوض الغربي للمتوسط خلال القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم شباب، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 1434هـ/2019م.

هـ) **المجلات:**

1. ابلالي أسماء: (التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10هـ/16م قراءة في الدوافع والنتائج)، في **مجلة روافد**، جامعة غرداية، ع02، 2017م.

2. جايماز أوغلي يعقوب: (**تونس من خلال كتاب بحرية لرحالة التركي بيري رايس في القرن السادس عشر**)، في المجلة التاريخية المغربية،(د،م،ن)، ع10، جانفي 2003م.

3. خيضر رابحة محمد: (دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني)، في **مجلة أبحاث**، كلية التربية الأساسية ،(د،م،ن)، ع2، 23-24 ماي 2007.

4. درويش الشافعي: (الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535م)، في **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة غرداية، ع30، غرداية، سبتمبر 2017م.

5. سعيود إبراهيم: (القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجًا)، في **مجلة الواحات**، قسم التاريخ، جامعة غرداية، ع11 ، 2011م.

6. العماري ستار حامد عبد الله، الجبوري عباس حسن عيسى: (المستعمرات الإسبانية في إفريقيا)، في **مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية**، جامعة بابل، العراق، ع11، 2015م.

7. يوسف إلهام: (دوافع الإحتلال الإسباني للمغرب الأوسط "الجزائر" ما بين 1505-1518م)، في **مجلة جامعة تشرين**، (د.م.ن)، ع11، 2018/01/15م.

8. يوسف إلهام، ولاء علي صقر: (**الصراع الإسباني العثماني على تونس (941-982هـ/1534-1574م)**)، **في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية** ، سلسلة الأدب والعلوم الإنسانية،(د، م، ن)، ع5، 2018/11/22م.

و) المحاضرات والندوات و المؤتمرات :

1- خلوفي بغداد: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، مستوى ثانية تاريخ عام، المركز الجامعي نور البشير، البيض، 2016/2015م.

2- الذويب جمال هاشم أحمد: **تثبيت الحكم العثماني في طرابلس الغرب**، المؤتمر الدولي الأول حول الدراسات العربية، جامعة الشريف علي الاسلامية ،بروناي، 2011م.

3- هلايلي حنيفي: **بابا عروج وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة**، ندوة علمية حول المجتمع والدولة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 28 أفريل 2016م.

ثالثًا: المراجع باللغة الأجنبية

1. Belhamissi Moulay : **Marine et marins d'Alger (1518-1830)**, Tome,I, bibliothèque nationale d'Algérie, Algérie, 1996.
2. Belhamissi Moulay: **Marine et Marin D'Alger (1518-1830),** 3T, Bibliothèque nationale d'Algérie, Alger, 1996, T1, P140.
3. Brulard .A : **Monographie de l'ile de Djerba**, Besançon Typ. & Lith . CH. Delagrange ,Villefranche-sur-Mer, 1885.
4. Courdier Zoé:**Les Batailles entre chrétiens et Ottomans dans la Méditerranée du XVI siècle**, L'étude d'une iniconographie, 1535-1575, Diplôme national de master spécialité cultures de l'écrit et de l'image, le directeur : Dominique Valerian universités – Lyon2, 2013.

5. De Grammant Henri.D, **Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515-1830)**, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1887.
6. Fray Diego de Hoédo**: Histoire des rois d'Alger**, traduit par: DE Grammont H.d , Adolphe Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1881.
7. Galibert Léon : **L'Algérie ancienne et moderne**, Paris, 1844.
8. Mantran Robert ***:*** **L'écho de la bataille de lepante à Constantinople,** in Annales Economies Sociétés Civilisation 28e année, N 2, Mars-Avril 1973.
9. Mercier Ernest: **Histoire de l'Afrique septentrionale**,3T, Ernest le Lerroux éditeur, Paris 1891, T3.
10. Rousseau Alphonse : **Annales Tunisiennes ou aperçu sur la régence de Tunis**, édition Bouslama, Tunis, 1980.
11. Tarizzae. M.L: **Early arab coins of Tunisia the hafsid (627-982AH /1230-1574 AD)**, Oriental numismatic society information, No:22, Janoury1980.
12. Wattel de Groizant Odile , A. Montifroy Gérard. *:* **Europe *entre Orient et Occident du* mythe à la géopolitique** ,Editions l'Age d'Homme, Suise, 2007.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ–ز
الفصل الأول: الأوضاع السياسية لإسبانيا وتونس والدولة العثمانية أواخر القرن 9هـ/15م بداية القرن 10هـ/16م	
المبحث الأول: الأوضاع السياسية لإسبانيا أواخر القرن 9هـ/15م بداية القرن10هـ/16م	09
أولاً: الوحدة الإسبانية	09
ثانيًا: سقوط غرناطة 1492م	12
ثالثًا: دوافع الغزو الإسباني لسواحل شمال إفريقيا	16
المبحث الثاني: الأوضاع السياسية لتونس أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م	21
أولاً: التعريف بالدولة الحفصية وامتدادها الجغرافي	21
ثانيًا: محطات في تاريخ الدولة الحفصية	23
ثالثًا: الغزو الإسباني لسواحل الحفصية	26
المبحث الثالث: الأوضاع السياسية لدولة العثمانية أواخر القرن 9هـ/15م بداية القرن 10هـ/16م	31
أولاً: توسعات الدولة العثمانية في المشرق	31
ثانيًا: توسعات الدولة العثمانية في جنوب أوروبا 1521م–1534م.	34
ثالثًا: الدولة العثمانية في شمال إفريقيا	37
الفصل الثاني: **الصراع العثماني الإسباني على تونس خلال النصف الأول من القرن السادس عشر**	

المبحث الأول: إلحاق تونس بالدولة العثمانية 1534م	45
أولاً: أسباب توجه خير الدين إلى تونس	45
ثانيًا: حملة خير الدين على تونس 1534م	48
المبحث الثاني: حملة شاركان على تونس 942هـ/1535م	52
أولاً: أسباب توجه شارلكان إلى تونس	52
ثانيًا: الاستعدادات للحملة	54
ثالثًا: انطلاق الحملة ومجرياتها	58
المبحث الثالث: استباحة تونس للإسبان	62
أولاً: دخول الإسبان لتونس	62
ثانيًا: معاهدة الاستسلام لتونس	64
ثالثًا: الانتفاضات والثورات ضد حكم الحسن الحفصي	72
الفصل الثالث: الصراع الإسباني العثماني على تونس خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر	
المبحث الأول: مساهمة درغوث والعلج علي في تحرير المدن التونسية خلال النصف الثاني من القرن 16	80
أولاً: مساهمة درغوث في تحرير المدن التونسية	80
ثانيًا: مساهمة العلج علي في تحرير المدن التونسية	85
المبحث الثاني: التدخل الإسباني في تونس خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر	90
أولاً: احتلال المهدية 1551م	90
ثانيًا: محاولة احتلال جربة 1560م	92
ثالثًا: حملة الدون خوان النمساوي على تونس 1573م	96
المبحث الثالث: التحرير العثماني لتونس وتداعياته	100
أولاً: الاستعدادات العثمانية والإسبانية	100

ثانيًا: تحرير حلق الواد وتونس	103
ثالثًا: انعكاسات الفتح العثماني لتونس	107
خاتمة	113
الملاحق	117
قائمة المصادر والمراجع	127
فهرس المحتويات	147
ملخص	

ملخص:

أدى الزواج السياسي الذي تم سنة 1469م بين فرديناند ملك أرغونة و إيزابيلا ملكة قشتالة إلى تشكيل الوحدة الإسبانية سنة 1474م فازدادت قوة ومساحة إسبانيا، هذه القوة دفعت الزوجان للقضاء على غرناطة سنة 1492م التي كانت تشكل آخر معاقل المسلمين في الأندلس، ومارسا أبشع الجرائم ضد الأندلسيين، مما دفع آلاف المورسكيين إلى الهجرة نحو بلاد المغارب، فوجدت إسبانيا ذلك حافزا لملاحقتهم مدفوعة بدوافع دينية اقتصادية انتقامية خاصة أن الفرصة كانت مواتية للإسبان نتيجة للضعف والتفكك الذي كانت تعانيه المنطقة، فتمكنت إسبانيا من احتلال العديد من المدن الساحلية ومن بينها السواحل الحفصية، فاصطدمت مع الدولة العثمانية التي كانت في أوج قواها في عهد السلطان سليم الأول (1512-1520)، وسليمان القانوني (1520-1566)، وذلك ببروز مغامرين رفعوا لواء الجهاد ضد النصارى والمتمثلين في الإخوة بربروس الذين كان لهم فضل كبير في توجيه أنظار الدولة العثمانية إلى دويلات المغارب.

في سنة 1534م تمكن خير الدين من جعل تونس إيالة عثمانية، هذا ما دفع سلطانها مولاي الحسن للاستنجاد بالنصارى، فأعد شارلكان حملة ضخمة ضد تونس أدت إلى معركة شرسة بين الطرفين وانتهت بجعل تونس محمية إسبانية 1535م، وتم إعادة مولاي الحسن إلى عرشه بعد ما فرضوا عليه شروطا قاسية، كانت لها انعكاسات سلبية على تونس، أما أهالي تونس فلم يتقبلوا مولاي الحسن فأقاموا ضده العديد من الثورات والتمردات منها: ثورة القيروان، وتمرد احمد ابن الحسن الحفصي.

إن الوضع السيئ الذي آلت إليه تونس جراء الاحتلال الإسباني، أجبر البحارة العثمانيين الغيورين على دينهم على تحرير مدينة تونس وسواحلها بكل ما أوتوا من قوة، ومن بينهم درغوث رايس والعلج علي،وفي ظل هذه الظروف اشتد التدخل الإسباني في المدن التونسية خلال النصف الثاني من القرن 16،حيث استولى الإسبان على المهدية وحاولوا إفتكاك جربة1560م غير أنهم

فشلوا في ذلك، وفي المقابل نجحوا في هزيمة العثمانيين في معركة ليبانت وهذا ما ساعد الدون خوان النمساوي في السيطرة على تونس سنة 1573م، لكن ما لبثت أن استعادتها الدولة العثمانية بعد إصرار من سلطانها سليم الثاني الذي قام بكل التجهيزات العسكرية والإستراتيجية من أجل اجتثاث الاسبانيين وتدمير قلعتي حلق الوادي وتونس وبعد معارك عنيفة بين الدولة العثمانية وإسبانيا تم تحرير حلق الوادي يوم 23 أوت1574، وتونس من نفس السنة،وهكذا غدت تونس إيالة عثمانية.

Abstract :

The political marriage that took place in 1469, between Ferdinand, the King of Argwana, and Isabella, the Queen of Castile, led to the formation of the Spanish unit in 1474 which has given a Spain's strength and area increased.

This force pushed the couple to eliminate Granada in 1492, which was the last stronghold of Muslims in Andalusia, and practiced the most heinous crimes against Andalusian

This led thousands of Morskis to emigrate to the countries of the Maghreb, and Spain found this an incentive to pursue them driven by motives for revenge economic religion, especially as the opportunity was favorable to the Spaniards as a result of the weakness and disintegration that the region was experiencing, so Spain was able to occupy many coastal cities, including the Hafsid coasts, so it clashed with the Ottoman Empire state, which was at the height of its powers during the reign of Sultan Selim I (1512-1520), and Suleiman El Kanouni (1520-1566), And with the emergence of adventurers, who raised the banner of jihad against the Christians and those represented by the brothers Barbaros, who had great credit in directing the attention of the Ottoman Empire to the small states of the Maghreb.

In the year 1534, Khair al-Din managed to make Tunisia an Ottoman voucher, which prompted its Sultan Moulay Al-Hassan to seek help with the Christians.

Charlikan prepared a massive campaign against Tunisia that led to a fierce battle between the two parties.

It ended with making Tunisia a Spanish protectorate in 1535, and Moulay Al-Hassan was returned to his throne after they imposed severe conditions on him, which had negative repercussions on Tunisia.

While the people of Tunisia, they did not accept Moulay El Hassan, so they launched against him many revolutions and rebellions, including: the Kairouan revolution, and the rebellion of Ahmed Ibn El Hassan Al Hafsi

The bad situation that Tunisia attained due to the Spanish occupation forced the Jealous of their religion, the Ottoman sailors to liberate the city of Tunis and its coasts with all their might, including Dargouth Raïs and Alalj Ali.

And in these circumstances, Spanish interference in Tunisian cities intensified during the second half of the 16th century, where the Spanish took over on the city of Mahdia and tried to break up the city of Djerba in 1560, but they failed to do it.

So, and in return they succeeded in defeating the Ottomans at the Battle of Levant, and this helped Don Juan of Austria in controlling Tunisia in 1573, but soon the Ottoman Empire recovered it after the insistence of its authority, Selim II, who undertook all military and strategic preparations in order to uproot the Spanish and destroy the two villages of Halk al-Wadi and Tunisia.

After violent battles between the Ottoman Empire and Spain, Halk al-Wadi was liberated on August 23, 1574, and Tunisia from the same year, and this is how Tunisia became an Ottoman Empire.